الجزء الأول

العلم وخشية اللّه

محاولة لشرح دور العلم الطبيعى المتاح

حاليا لبعض ما جاء بالقران الكريم

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
الخلق الإلهي

obeikandl.com

obeikandl.com

خلق الكون
(كون الإنفجار العظيم أم فتق الرتق...؟)

كون فتق الرتق :

إن بداية الخلق والحياة، بصفة عامة، لم تكن مصادفة ولا عشوائية، ولكنها كانت بتدبير وعلي مراحل، أي كانت علي أطوار متعددة علي مر الزمن. وكل نوع من المخلوقات، من ملائكة أو جن أو نبات أو حيوان أو إنسان، كان مستقل في نشأته ومراحل تطوره، من البسيط إلي المعقد، حتي وصل إلي مستواه الحالي، والذي تَوَّجَه الله سبحانه وتعالي بخلق البشر. وقد استغرق هذا حوالي ١٥ مليار من السنين (كما قال العلماء) .

فالله خلق السماوات والأرض وما بينهما طبقاً لقوانين ثابتة وإلى أمد معين (أى إلى موعد قيام الساعة الذى لا يعرفه إلا الله) تفنى بعده :

﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾

(الأحقاف : ٣)

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

(الأعراف : ١٨٧)

من البديهيات أن الله، سبحانه وتعالي، لم يُشهد البشر (أى بنو آدم) والجان والشياطين خلق أنفسهم، ولا كيفية خلق الكون بسمواته وأرضه وما بينهما وما تحت الثرى، ولاحتى خلق الحياة بالأرض، وخلق الكائنات الحية، التى لاحصر لعددها من نبات وحيوان وحشرات وإنسان، فلقد كانت سابقة لوجودها :

﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾

(الكهف ٥١)

ومع ذلك، يأمر الله سبحانه البشر بالتفكر في الخلق. فالبشر بعقله يمكنه أن يتأمل نفسه وكل هذه المخلوقات التى حوله ليصل بفكره وعلمه المتواضع الى أن الكون لايمكن أن يكون قد أُوجد كما هو كحقيقة واقعة :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

(الإسراء ٨٥)

وكذلك لا يكون قد أوجد نفسه بنفسه، بل هو شئ مُحدث وله خالق عظيم هو الله، سبحانه وتعالى (كما جاء فى القرآن الكريم فى ٢٣ آية ب ١٧ سورة: البقرة: ٢٢،٧٤،١٦٤. الأنعام: ٩٩. الرعد: ١٧.إبراهيم: ٣٢. النحل: ١٠،٦٥. طه: ٥٣. الأنبياء: ٣٠. الحجرات: ٥،٦٣. المؤمنون: ١٨. النور: ٤٥. الفرقان: ٥٤. فاطر: ٢٧. الزمر: ٢١. فصلت: ٣٩. القمر: ١١،١٢. المرسلات: ٢٠،٢٧. الطارق: ٦). ولما كان للخلق بداية ، إذا فله نهاية، وإنّ إعادته لأسهل على الله:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

(الأنبياء ١٠٤)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

(العنكبوت ١٩-٢٠)

فالوجود كان قبل خلْق الله للكون عبارة عن ماء وفوقه العرش، وخلَق الله السموات المرفوعة والأرض الممدودة، ثم إستوى على العرش. وخلق الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، وكلها خاضعة لأمره، وتتحرك فى نظام دقيق وموزون (الأعراف:٥٤. يونس: ٣. هود: ٧. الرحمن: ٧) منها :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾

(هود ٧)

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ ﴾

(الرحمن ٧)

فالله يعلم كل ما ينزل من السماء وما يصعد إليها، وما يغوص فى الأرض وما يخرج منها، وهو عليم بكل مخلوقاته الحية، ومحيط بشئونها. فهو خالق كل شىء فاعبدوه، لا تراه العيون وهو يعلم دقائق العيون وغير العيون ولا يخفى عليه شئ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

(الحديد ٤)

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ ﴾

(النازعات ٢٧-٣٢)

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

(الأنعام ١٠٢-١٠٣)

يقول القرآن الكريم، أن السموات (وما بها من أجرام كونية) والأرض كانتا ملتحمتين فى كتلة واحدة قوامها دخان ساخن (مكوناته بخار الماء وغازات وتراب) فشقهما أو فطرهما الله بقدرته، وخلق من الماء كل الأحياء (أى بعد أن برَد الدخان وتكثف بخار الماء إلى ماء). بهذا الوصف البسيط السهل الممتنع، شرح الله فى كتابه العزيز، الذى أُنزِل منذ ١٤ قرنا مضت، كيفية بدء الخليقة (أى خلق هذا الكون الذى نعيش فى جزء صغيرمنه) بسمواته وأرضه وأحيائها ومابينهما :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(الأنبياء ٣٠)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾

(فاطر ١)

خلق الله الأرض والأجرام الكونية، وكانت جميعها ساخنة لدرجات متفاوتة، ومستعرة لتضئ وتشع. وسوف يظل بعضها على هذا الوضع غير المستقر الى يوم القيامة، كالشمس والنجوم. أما الأرض والكواكب والأقمار فقد برد سطحها تدريجيا الى تربة يابسة .

توجهت إرادة الله الى السماء وهى دخان، فلم يكتفى بسماء واحدة، بل بنى منها سبع سموات متطابقة كالأسقف المرفوعة المحكمة (أى بناها قوية بعضها فوق بعض) وعلى أبعاد كبيرة (البقرة :٢٩. الأنبياء:٣٢. النباء:١٢) منها :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

(البقرة ٢٩)

وهو سبحانه قادر على جمعها وإحتوائها على سعتها المتناهية، التى لا يدركها عقل، والمستمرة فى الإتساع، وهو كذلك قادر على ترتيبها :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

(الذاريات ٤٧)

خلق الله الليل ظلمة والنهار نورا متعاقبين ومتغيّرَيْن طولا وقصرا كآيتين من آياته الكثيرة والمسّخرة لخدمة أصحاب العقول المدركة لقدرته، والخائفة من غضبه. فنورُ النهار البارد هو نور الله سبحانه، نحسه ولا نري له شكلا لانتشاره. وهو غير أشعة الشمس الذهبية الساخنة التي نراها ونحس بها :

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

(النور ٣٥)

وظلمة الليل لا تسرى فيها الشمس. لذلك فالشمس تُرى فى النهار المُبْصِر

(آل عمران: ١٩٠. الأنعام : ١) منها :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾

(الأنعام ١)

وخلق كذلك بالسماء الدنيا (أى الأولى) فوق الأرض، الشمس كالمصباح الساخن نهارا، والقمر نورا باردا ليلا. خلق الله الشمس كأحد مخلوقاته التي أنعم بها علي الإنسان، وجعلها ضرورية للأحياء علي كوكب الأرض. فلقد هيأها الله وسخرها لعباده لكي تكون من أهم مقومات حياتهم بما ترسله من طاقة ودفء وضياء. ولولا الشمس ما كانت هناك مصادر أخري للطاقة كالرياح، ومصادر المياه، والأخشاب والفحم والبترول ومشتقاته. وبدونها تنتهي الحياة علي الأرض. وللقمر منازل ينتقل فيها متناميا ثم متناقصا، فيختلف شكله ونوره (راجع صورتها فيما بعد). وفى تعاقب الليل والنهار ومنازل القمر يُحسب الزمن، وتُقدر المواقيت وعدد الأشهر والسنين والحساب (الأنعام: ٩٦. التوبة: ٣٦. يونس: ٥-٦. الإسراء: ١٢. النور: ٤٤. الفرقان: ٦١-٦٢. يس: ٣٨-٤٠. الرحمن: ٥) منها:

" فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"

(الأنعام: ٩٦)

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟

فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

(التوبة ٣٦)

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾

(يونس٥-٦)

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾

(الإسراء ١٢)

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(يس ٣٨-٤٠)

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ ﴾

(الرحمن ٥)

وبالسماء الدنيا، خلق الله أيضا النجوم المضيئة والكواكب المشرقة لتزيينها، وللهداية إلى الطريق. وخلق كذلك **الشُهب** (وهي نجوم منقضة) لرد شياطين

الجن من إستراق السمع لأخبار الملأ الأعلى (وخاصة عن الإنس) وللحفاظ عليه:

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ ﴾

(الصافات ٦-١٠)

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢ ﴾

(فصلت ١١-١٢)

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ ﴾

(الملك ٥)

وكل جرم من هذه الأجرام السماوية، يسبح فى مسار خاص ومحدود له، وبعيد عن بعضه البعض وبسرعات مختلفة ومعينة، ومحفوظ من الوقوع على الأرض الى يوم القيامة (الرعد: ٢. الأنبياء: ٣٢،٣٣. الحج: ٦٥. فاطر: ٤١. نوح: ١٥،١٦) منها :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾ (الرعد ٢)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾

(الحج٦٥)

يحدث هذا نتيجة قوة جاذبية جسم الشمس للكواكب التي تدور حولها، أو في فلكها، والتي يساويها ويضادها في الإتجاه القوة الطاردة المركزية لدوران هذه الكواكب حول الشمس (فتثبت كواكب المجموعة الشمسية في فلكها) .

إختص الله الأرض فقط (لعلمنا حتى الآن) بسطح معظمه مائى، وقد ظهرعليه جزء صغير يابس ومرتفع من التراب(يعتقد أنه أرض الكعبة المشرفة أو مكة) وهو أقدم جزء من القشرة الأرضية الصلبة، ومنه بُسطت أو مُدت الأرض كلها .

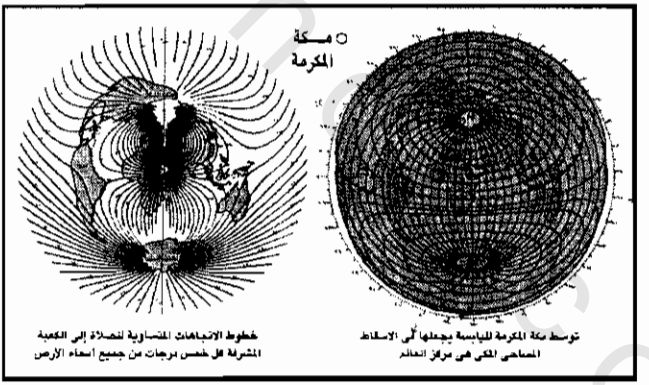

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

(الأنعام٩٢)

وعن قول المصطفى عليه السلام :

[كانت الكعبة خشعة (أى تل ترابى) على الماء فدحيت منها الأرض]

عن الهروى فى غريب الحديث (٣٦٢/٣) .

ولقد شطرالله القشرة اليابسة للأرض إلى سبعة أجزاء (أى قارات بلغة عصرنا) وباعد بينها، فتخللها ماء السطح المائىعلى هيئة محيطات وبحار، كما جاء فى حديث للرسول، صلى الله عليه وسلم، عن إبن عباس وإبن مسعود قال :

[أن الله تعالى كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء . فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخان، فإرتفع فوق الماء فسما (أى علا) عليه فسمّاه – سماء – ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعل سبع أرضين فى يومين.]

خلق الله الأرض وما بها من نعم ومنافع، وأرسى (أى غرس) فيها جبالا لتثبتها من الإهتزاز أو الإضطراب :

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

(فصلت ١٠)

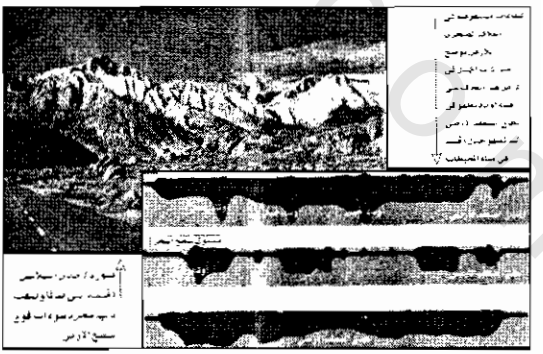

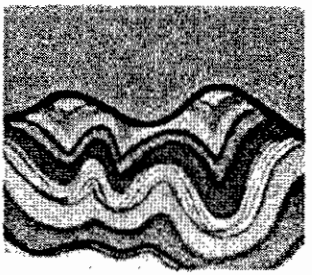

الطبقات المثنية أو المطوية

تكونت جبال الألب بهذه الوسيلة

وبسطها وشق فيها أنهارا، وجعل فيها كذلك طرقا ومسالك فسيحة، وأنزل عليها الماء العذب بقدر من السماء على هيئة مطر، وسماه القرآن الكريم "رجع"...! وأقسم الله به :

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ ﴾

(الطارق ١١)

لأنه يرجع كل حين بمطر بعد مطر. ولقد أثبت العلم أن هذه التسمية للمطر حقيقة. فحرارة أشعة الشمس تبخر الماء من أسطح البحار والمحيطات والبحيرات. ولما كانت كثافة بخار الماء أقل من كثافة الهواء الجاف البارد (بنسبة ٨:٥) فإن بخار الماء يصعد إلى طبقات الجو العليا، حيث يتكثف ويصير سحابا. ثم يرجع بعد ذلك مطرا إلى سطح الأرض، ليسكن فيها مكونا البحيرات والأنهار. كذلك يتخلل طبقاتها السفلية، مكونا المياه الجوفية التى تتفجر عيونا، أو تسحب بواسطة حفر الآبار .

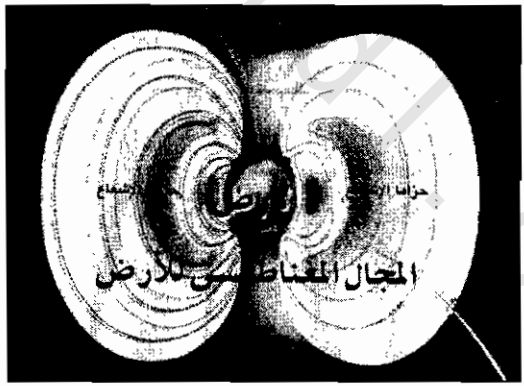

وهناك صور أخري للرجع منها :

- رد الأصوات الصادرة من الأرض بواسطة غلافها الجوي الغازي (سمكه أو إرتفاعه نحو ١٠٠٠ كم.) وكذلك رد الحرارة الصادرة منها، والغازات والأبخرة والغبار المرتفعة منها بواسطة السحب .

- طرد الأشعة فوق البنفسجية الضارة، الآتية مع أشعة الشمس، بواسطة طبقة الأوزون المتواجدة بالغلاف الجوي بعيدا عن الأرض لحماية أحيائها. ونتيجة لذلك يتحلل جزء من الأوزون إلي أوكسيجين : $2O_3 \xrightarrow{UV} 3O_2$

- رد الإشارات الراديوية إلي الأرض بواسطة النطاق المتأيّن (من تأثير الفوتونات المصاحبة لأشعة الشمس) وهو متواجد علي إرتفاع من ١٠٠ إلي ٤٠٠ كيلومترا فوق سطح البحر. وفي ذلك تيسير لعمليات البث الإذاعي والإتصالات الراديوية علي الأرض .

- طرد الأشعة الكونية المهلكة بعيدا عن الأرض لحمايتها بواسطة مجالها المغناطيسي .

إن للماء دوراً أساسياً فى خلق وحياة الكائنات الحية، بكل أنواعها وأشكالها وصورها، التى نشأت بالأرض. كذلك يتوقف عليه بقاؤها وحياتها. فمن الماء خلقت، ليس فقط كل دابة تدب زحفا أو مشيا على الأرض، بل أيضا كل شيء حى ، نبات كان أم كائنات دقيقة، ولهذا سميت الأرض **بالكوكب المائى** .

(الرعد: ٣،٤. النحل: ١٥. طة: ٥٣. الأنبياء: ٣١. لقمان: ١٠. الزخرف: ١٠،١١. ق: ٧-١٠. الرحمن: ١٠-١٢. نوح: ١٩،٢٠. النازعات: ٢٧-٣٣. عبس: ٢٥-٣١) منها :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ ﴾

(الرعد٣-٤)

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝ ﴾

(الزخرف ١٠-١١)

لقد أشار القرآن الكريم إلى كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس، وتواجد الليل والنهار والمشرق والمغرب فى كثير من السور، مثل : (الرعد: ٣. الشعراء : ٢٨. الزمر: ٥. الرحمن: ١٧ ،٣٣. المعارج: ٤٠. المزمل: ٩ . النازعات: ٣٠) منها :

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝ ﴾

(الزمر٥)

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝ ﴾

(الرحمن٣٣)

﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝ ﴾

(النازعات٣٠)

يقال بالمعجم، دحا الشيء دحواً، أى بسطه ووسّعه. وفى حالة الأرض بالذات، ومع سعتها الكبيرة جدا، فإنه من المعروف رياضيا، أن الشيء إذا مُدَّ أو بُسِط بسطا إلى مالانهاية، فهو يستدير أو يتكور. وبالتالى يكون معنى دحا الشئ،

أى بسطه أو مده . أما معنى دحا الأرض فهو كورها. والدحية بالريف تعنى البيضة .

وفى حديثين للرسول الكريم عن المشارق والمغارب للشمس، وكروية الكون :

[هى على رسلها لا تبرح ولا تزول]

أى أن الشمس تغرب عن قوم وتطلع على قوم .

[إن الزمان قد إستدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض]

والحديثان يشيران إلى إستدارة الأرض والسماوات السبع المتطابقة، وكذلك كافة الكواكب منذ خلقها الله حتى الآن. (الملك: ٣ . نوح: ١٥-١٦) منها :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾

(الملك٣)

لقد بيّن القرآن الكريم أن الزمن نسبى وليس مطلقاً . وأنه يعتمد على السرعة والمسافة. فالسنة الشمسية على الأرض ٣٦٥ يوما. فى حين أنها على الكوكب عطارد (أقرب كوكب للشمس وأسرعها) ٨٨ يوما. أما على الكوكب بلوتو (من أبعد الكواكب من الشمس ومن أبطئها) ٢٥٠ سنة من سنواتنا على الأرض. أما اليوم عند الله سبحانه، كما جاء بالقرآن الكريم، فهو كألف سنة ، وأيضا ٥٠ ألف سنة من سنواتنا :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾

(السجدة ٥)

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ ﴾

(المعارج ٤)

كما أخبرنا الله أنه خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن (أى مثلهن فى العدد والتطابق) . وحيث أن الأرض كروية، كما سبق وأن بينّا ، إذا فقشرتها اليابسة هى الأرض الأولى، ومن تحتها ست طبقات أو أرضين. وتكمن الأرض السابعة فى لبها أو مركزها. إذاً فالأرض جسم مركب وليس بسيط، ومنها خلق الله سبع أرضين على مهل ورفق، لإحلال كل أرض فى مكانها(أي على مراحل):

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ۝١٢ ﴾

(الطلاق ١٢)

ولما كانت تربة الأرض مكونة من العناصر الخفيفة فقط (فهى خالية تماما من العناصر الثقيلة) لذلك حبا الله الأرض برجمها من السماء بمعدن الحديد الصلب المهم، علي هيئة نيازك، لأنه ضروري لبعض المخلوقات فيها، ونافع للحياة بها :

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾

(النجم ١)

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

(الحديد ٢٥)

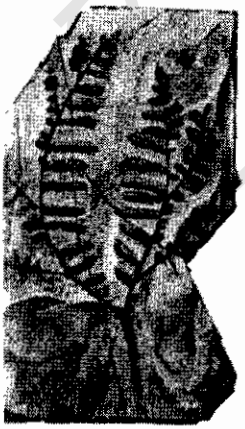

أحفورة نباتية

بعد ذلك خلق الله النباتات في البحر أولا، وقبل أن تغزو الأرض (بالأماكن التي تغطيها تربة) بمئات الملايين من السنين. وكان أغلب هذه النباتات من الطحالب والأعشاب البحرية، والتي وجد في **روديسيا** (التي تقع غرب موزمبيق بجنوب شرق إفريقيا) آثار لحفريات لها، يقدر عمرها بحوالي ٢٧٠٠ مليون سنة. ومن المحتمل أن تكون نباتات الأرض اليابسة قد نشأت بالتطور التدريجي من النباتات البحرية التي كانت علي شاطئ البحر. وأقدم حفريات هذه النباتات الأرضية وجدت بأستراليا، وقدر عمرها بحوالي ٤٥٠ مليون سنة، كما وجد أيضا بإسكوتلندة حجر صوان (المتكون من السيليكا الشفافة) وهو يحتوي علي نباتات أرضية محفوظة جيدا وواضحة المعالم ، وعمرها حوالي ٣٥٠ مليون سنة مضت .

أحفورة عظام سمكة بدائية

بعد ذلك خلق الله الدواب (أى كل مخلوق حى يسير أو يتحرك) من الماء. ونشر الملائكة فى أجواء السموات، وبث الجن والأنس والحيونات والطيور والحشرات والزواحف والأسماك فى الأرض لمنفعة الناس (البقرة: ١٦٤. الثور: ٤٥. الشورى: ٢٩) منها :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

(البقرة ١٦٤)

ويرى المرءُ الجبالَ فيَظنها ثابتة لا تتحرك، ولكنها، فى الحقيقة، تتحرك تبع الأرض وكل ما عليها وفي غلافها الجوي، مثل السحاب. بل إن ما فى الكون كله يتحرك، بسمواته وأرضه وما بينهما من أجرام. ووضع الله لكل جرم حركته الدائمة فى نظام دقيق مبدع، وحساب وتقدير لا إخلال فيه إلى يوم القيامة (كما أسلفنا) :

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

(النمل٨٨)

ويوم تقوم الساعة التى لا يَعرف موعدها إلاّ الله، كما أسلفنا (الأعراف: ١٨٧) تحدث نهاية الكون بإنهياره بأمر من خالقه. وعندها تضطرب السماء إلى درجة الإنشقاق والتصدع، وتسقط الكواكب متبعثرة، وتتفجرالبحار وتتصل ببعضها البعض. وتبدل الأرض غيرالأرض، وتزداد سعتها بدك جبالها، وبإلقاء ما في جوفها من الموتى بعد بعثهم من جديد (إبراهيم: ٤٨. الطور: ٩-١٠. الإنفطار: ١-٤. الإنشقاق: ١-٥) منها :

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ ﴾

(الانفطار ١-٤)

كون الإنفجار العظيم :

بيَّنا فيما سبق، كيف خلق الله سبحانه، الكون بسمواته وأرضه وما بينهما. وخلق الحياة بالأرض كما جاء بالقران الكريم :

﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾

(الأحقاف٣-٤)

فى هذا المقام العلمي الطبيعي الإلهي، سوف نبين ما جاء به العلم الطبيعي الإنساني الحديث، وهو قليل (الإسراء : ٨٥) عن خلق هذا الكون .

يقول علماء عصرنا الحديث، أن الكون مخلوق مُحدث وليس وجوده أزلى. وطبقا للإفتراض الأكثرشيوعا، تكوّن عالمنا منذ حوالي خمسة عشرة آلاف مليون سنة مضت. وكان عبارة عن نقطة سوداء، تتكون مادتها من بروتونات ونيوترونات ملتصقة مع بعضها بقوة هائلة. وكانت شدة حرارتها وكثافتها وتجاذبها عالية جدا إلي حدود لا يمكن قياسها. مما سمح للأنوية الذرية بجذب الإلكترونات. وبهذا تكونت ذرة الهايدروجين (ذات الإلكترون الواحد) لأول مرة. ومع زيادة التمدد صحبه انخفاضا في الحرارة، وارتباطا للذرات مع بعضها البعض لتكوين العناصر الخفيفة للمادة (أى ذات الوزن الذرى الخفيف) وعددها ١٤ عنصرا. وهى تبدأ بغاز الهايدروجين وتنتهى بعنصر السيليكون. ومنها عناصر الكربون والنايتروجين والأوكسيجين والنيون والصوديوم والماغنسيوم والألومينيوم .

وعلي ذلك تكونت سحابة ضخمة من الغازات والتراب المكون من العناصر الخفيفة. ولقد ظلّت هذه السحابة أو "السديم" تنكمش وتتضاغط وتتدكس بشدة، وهى تدور حول نفسها فى الفضاء الفسيح حتى صارت أصغر ما يمكن فى الحجم (قدرت بكُرَةٍ لايزيد نصف قطرها عن خمسة ملايين من الكيلو مترات) ولكنها كبيرة فى كمية المادة أو الطاقة. وتحت تأثير تمددها وجاذبيتها أخذت تتصدّع بسرعة متزايدة حتى إنفجرت، ولذلك سميت هذه العملية **{ الإنفجار العظيم The Big Bang}**. وهى ماوصفها القرآن الكريم بتعبير أدق " **فتق الرتق**"، كما ذكرنا، حيث أن كلمة الإنفجار تعني تفتت الشئ وتناثر أجزاؤه بدون نظام، أى دماره. ولقد تولّد عن هذا الإنفجار العظيم مكونات، أو أجرام مختلفة الحجم والكتلة ودرجة الحرارة. فمنها الساخن المستعر كالشمس والنجوم، ومنها ما برد وأعتم كالأرض والكواكب والأقمار (كلمة كوكب مأخوذة من كلمة يونانية معناها الجوال أو السيار). وهى تتحرك فى مجموعات تختلف فى كبرها وعددها الهائل الذى لا يُحصى. وكل مجموعة تدور سابحة حول مركز أو نواة لها. ولكل جرم مدار خاص به. ويُطلق على كل مجموعة إسم "**المجرة**". وحيث أن مقاييسنا المستخدمة على الأرض للمسافات (مثل الكيلومتر أو الميل) يصعب إستخدامها لقياس المسافات الشاسعة فىالفضاء بين الأجرام، لهذا

إستُعيض عنها **بالسنة الضوئية** (وهى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة واحدة، أى ٣٦٥ يوما. ولما كانت سرعة الضوء حوالى ٣٠٠ ألف كيلومتر تقريبا في الثانية (وهو أسرع شئ نعرفه فى الوجود، وأى جسم (أو مادة) يسير بهذه السرعة يتحول إلى ضوء....) إذاً فالسنة الضوئية تساوى ١٠ ملايين كيلومتر. ولنأخذ مجرتنا **درب التبانة او الطريق اللبنى، جالاكسى Galaxy** (حيث أن جالا باليونانية تعنى لبن) كمثال :

تتشكل مجرتنا على هيئة قرص كبير جدا فى مركزة نواة، وهى تضم نحو ٢٠٠ ألف مليون جرم موزعة بشكل خاص، منها النجوم الساخنة المستعرة، والكواكب والأقمار التى بردت. وهى تتحرك دون سقوط أو تصادم نتيجة لتماسكها الشديد الى بعضها البعض .

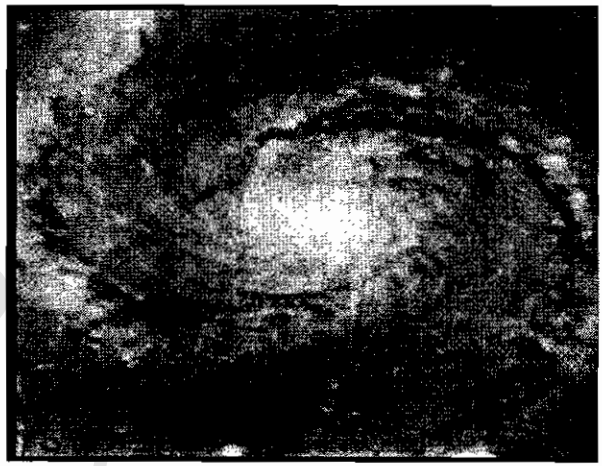

مجرة حلزونية بها بلايين النجوم المرتبطة بالجاذبية

وتنقسم النجوم إلى ثلاثة أنواع مختلفة حسب لونها ودرجة حرارتها وحجمها. **فالنجوم الذهبية** اللون(مثل الشمس) درجة حرارة سطحها المرئى حوالى ٦٠٠٠ درجة، وهى متوسطة الحجم (تتفاوت درجة الحرارة بداخل الشمس حتى تصل إلى ١٤ وقيل ٣٠ مليون درجة مئوية) .

وهناك **نجوم حمراء** ودرجة حرارتها حوالى ٣٠٠٠ درجة وهى كبيرة الحجم، لذلك يطلق عليها إسم "**العماليق الحمراء**" .

أما **النجوم الزرقاء** فدرجة حرارتها حوالى ١٥٠٠ درجة، وهى صغيرة الحجم وتسمى " **الشهب أو النجوم المنقضة** ". وهى مجرد حبيبات من الأتربة والحجارة الصغيرة. وعندما تندفع منقضة فى الجو، ومتحركة بسرعة ٤٥,٨ ميلا فى الثانية تشتعل .

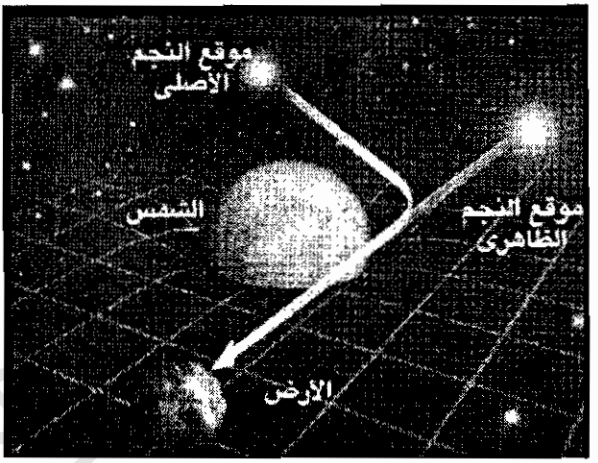

وتفصل النجوم عن بعضها البعض مسافات شاسعة جدا، يصعب معها أن يصطدم نجم بآخر. وهى مع الشمس تكون جزءا من مجرتنا.وهى فى حركة دائمة، لذلك يصعب تحديد المكان الحقيقى للنجم بالنظراليه، ولا بأي وسيلة أو جهاز علمي. وعلى ذلك يصبح لكل نجم موقعين هما : الموقع الذى نراه وغادره النجم بسرعته الفائقة، والموقع الذى يشغلة فعلا. فا لشمس مثلا، أقرب نجم إلي الأرض، تبعد عنها ١٥٠ مليون كيلومتر ، فضوئها الذي ينطلق بسرعة ٣٠٠ ألف كيلومترا تقريبا في الثانية، يصل إلي الأرض بعد ٨,٣٣ دقيقة تقريبا، كما أسلفنا. بينما تجري الشمس بسرعة ١٩ كيلومترا في الثانية تقريبا، فتكون قد تحركت لمسافة لا تقل عن ١٠ آلاف كيلومترا عن الموقع الذي إنطلق منه ضوئها .

هذا فضلا عن أنه قد ثبت علميا أيضا، بأن الضوء (وهو أحد صور المادة، وتسير موجاته في خطوط مستقيمة) يتغير مساره في مجالات الكون المختلفة بتغير كثافاتها وخواصها التجاذبية. وعليه فإن موجات الضوء يحدث لها إنعطاف أو إنكسار، فتتحرك في السماوات في خطوط منحنية، يصفها القرآن الكريم بـ"المعارج" ومعناها المنعطفات أو الإنحرافات (وشبهت بالدرج أو السلم). ويصف الحركة ذاتها (أى الفعل) بالعروج (أي الإنكسار، أو الخروج عن الخط المستقيم Refraction). وحينما ينعطف ضوء نجم في إتجاه الأرض،

فإن الناظر له من الأرض يري موقعا لهذا النجم علي إستقامة بصـــره، وهـــو موقع يغاير موقعه الحقيقي الذي صدر منه الضوء. وهذا يؤكد أيضـــا، إنـــه لا يمكن رؤية النجوم ذاتها أبدا من فوق سطح الأرض. ولقد ذُكرت هذه الحقيقة فى القرآن الكريم المعجز :

﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾

(الواقعة٧٥-٧٦)

﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ۝١٤ ﴾

(الحجر١٤)

﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ﴾

(سبأ ٢)

﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ ﴾

(المعارج٣-٤)

تبين الآيات السابقة أن الملائكة والروح الأمين قد خلقها الله من نور. ولهذا فهي تعرج مثل الضوء في السموات المتسعة إتساعا يبدو بلا نهاية...، الأمرالذى لايدركه عقل...!، سبحان الله، وأن هذا الإتساع مستمر مع الزمن، وهو يعرف بنظرية "**التمدد**". وبما أن الله هو مصدر نور السموات والأرض، فهو منورها بكل نور حسي هادئ مريح ومنتشر لينور الكون كله (لا علاقة له بضوء الشمس وحرارتها، ولا بشروقها وغروبها) ونور معنوى واضح

كنور الحق والعلم والهدي. فنوره يشهد ويدل علي وجوده، ويدعو للإيمان به سبحانه وتعالي :

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

(النور ٣٥)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾

(النساء ١٧٤)

ولا يفوتنا في هذا المقام، أن ننوه بمعجزتي المعجزات، وهما "**الإسراء والمعراج**" برسول الله ،صلي الله عليه وسلم (كعبد من عباد الله) أي رحلته السماوية في صحبة الروح الأمين جبريل، عليه السلام، بواسطة **البراق** (وهو الوسيلة أو الدابة التي تضع حافرها، أي طرفها، عند نهاية نظرها، عن السنة المطهرة، وهذا يرمز إلي سرعتها المذهلة. ويمكن تشبيهه بالصاروخ الذي عليه مركبة فضائية في عصرنا الحالي.... والله أعلم) الذي إستخدماه، وإشتُق إسمه من البرق. والبرق هو ظاهرة سماوية، عبارة عن **وميض** (أي ضوء خاطف لسرعته الفائقة). وهو ينتج عن تفريغ شحنة كهربية جوية، أي بين السحب المشحونة، وغالبا ما يسبق وميض البرق صوت الرعد في يوم مطير، (لأن سرعة الضوء (٣٠٠٠٠٠ كم في الثانية) أعلي من سرعة الصوت (٣٣٠٠ م في الثانية) .

لما جاء عام الحزن علي الرسول (كما سماه المؤرخون) ففيه توفي عمه "أبو طالب" علي دين أجداده. وكان يحمي ابن أخيه "محمد"، عليه السلام، لما له

من هيبة وسلطان بمكة. بعد ذلك توفيت زوجته السيدة "خديجة"، أم المؤمنين، رضي الله عنها. وكانت ملاذه الوحيد، والزوجة التي احتضنته قبل النبوة، والرفيق والصديق بعدها. ولما ازداد إيذاء قريش للنبي، صلي الله عليه وسلم، وكان الحصار العام علي الدعوة قد أُحكِمَ، فكرَ في التوجه إلي الطائف، حيث تقطن قبيلة "بني ثقيف" الكافرة، أملا أن يفتح الله للدعوة بابا تنفذ منه. وقرر أن يسير إليها علي قدميه (بالرغم من أنها تبعد عن مكة بحوالي سبعين كيلومترا) حتي لا يلفت خروجه نظر أهل قريش. وأن يتوكل علي الله الحي الذي لا يموت:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾

(الفرقان٥٨)

وهناك بالطائف أساءوا إليه وكذبوه، بل وسلطوا الصبيان والأوباش برميه بالحجارة. فَأُصيب عقبه الشريف وسال دمه، وكان ذلك في اليوم الأخير لزيارته، أي يوم عودته إلي مكة. واضطر للجوء إلي بستان هربا من مطارديه، وطلبا للراحة. وهناك حماه صاحب البستان من الأوباش، ورقَّ له قلبه، فأرسل إليه قطفا من العنب. ولما عاد الرسول إلي مكة مرفوضا، ووحيدا لا ناصر له... بدا له أن الناس جميعا قد تخلوا عنه... فتوجه إلي ربه بكلمات تفيض حزنا وألما، شاكيا إليه ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه علي الناس ... وكان حزن الرسول العميق نابع من شفقته النبيلة وحنان قلبه الطاغي علي أهل مكة :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ **(الكهف٦)**

فنزل عليه الروح الأمين جبريل، كبير الملائكة، عليه السلام (يتكون إسم جبريل من مقطعين: جبر + ايل، وتعنى: عبد + الله) وقال له :

إن الله تعالي قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .

وقال الرسول :

[فناداني ملك الجبال، فسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد بعثني إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين (جبلان بمكة)].

فرد النبي، صلي الله عليه وسلم، وقد سبقت رحمته غضبه علي أهل مكة :

[بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَن يَعبُد الله وحده ولا يشرك به شيئا] متفق عليه .

ولقد زاد حب النبي لربه، في نفس الوقت، حتي وصل إلي ذروته، بل وإلي حد يصعب علي المرء إدراك عمقه وفهمه، وجعله يقلق ويخاف من أن يكون الله غير راض عنه وغاضبا عليه... فكان يقول ويردد، مخاطبا الله سبحانه وتعالي :

[إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي].... !

وهنا تدخلت العناية الإلهية لنصرته وتكريمه، وَوَقَعَت أعظم معجزات الرسول، صلي الله عليه وسلم، والتي تفوق معجزات كل الرسل، وهي معجزتي الإسراء والمعراج، كما أسلفنا، وهما معجزتان فريدتان لا مثيل لهما في قصة نبي آخر، وقد حدثتا ليلا، وفي ليلة واحدة .

نزل جبريل، عليه السلام، إلي الأرض، هذه المرة، ليس فقط بوحي للنبي ولكن لعمل شئ فوق قدرة البشر، وهو مصاحبة النبي في رحلتي الإسراء والمعراج. وكانت قد مضت اثنتا عشرة سنة علي نبوته. ولقد رأي محمد جبريل علي صورته الحقيقية مرة أخري :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء ١)

بعد وصول الرسول، صلي الله عليه وسلم، إلي المسجد الأقصي، صلي بجميع الأنبياء الذين أُرسلوا قبله إماما (هل وهم موتي في عالم الغيب ...، أم بعد أن ردوا إلي عالم الشهادة، بقدرة الله سبحانه وتعالي ... ؟ الله أعلم)* .

وعادت الكعبة قبلة للمصلين المسلمين كما كانت في أول الزمان (أي استدار الزمان إلي سابق عهده في بداية خلق الله، سبحانه وتعالي، للسماوات والأرض) والتي بنتها الملائكة، بعد تحديد مكانها بإيحاء من الله، سبحانه. ثم اندثارها مع طوفان نوح، عليه السلام، وظل مكانها وكذلك قواعدها معروفة. ويظل الإسلام، وبالتالي المسلمون، في ارتباط مقدس مستمر ودائم بالمسجد الأقصي (قبلة الصلاة الأولي، ولإرتباطه بمعجزتي الإسراء والمعراج) وبالسماوات العلا، بعد ارتباطه بجميع النبوات والرسالات السابقة له .

من هذه الرحلة يتبين لنا، أن الله أراد بها ربط شرائع التوحيد التي دعا إليها جميع أنبيائه. فأرسل النبي الخاتم محمد، صلي الله عليه وسلم، إماما للأنبياء وقائدا روحياً للبشر أجمعين. وأوحي له بالقرآن الكريم لتحقيق هذا، ولذلك قال الرسول الكريم :

[الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وللناس كافة بشيرا ونذيرا، وأنزل عليَّ الفرقان فيه تبيان كل شئ]

---

* هذه الصلاة هي صلاة سيدنا إبراهيم . وهناك رأي آخر ، وهو أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد صلى بجميع الأنبياء بعد رجوعه من معجزة المعراج (حيث فرضت هناك الصلاة الحالية على كل مسلم لأول مرة ، كما سوف يلي) ... والله أعلم ....

ومما يؤكد ذلك، أن جميع الكتب السماوية نصت علي أصول وعقائد دينية واحدة، وهي : وحدانية الله، والإيمان به وبكتبه ورسله وملائكته، وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر. كما أن جميع أنبياء الله ورسله قد دعت البشر إلي العمل الصالح، والنهي عن المنكر، والتحلي بالعدالة والأمانة والصدق والوفاء بالعهد. بذلك انتهت معجزة الإسراء، وبدأت معجزة المعراج .

صعد، أو بالأصح عَرُج، الرسول الكريم في صحبة الروح الأمين متجاوزا السماوات العلا السبع، من المسجد الأقصي بالقدس بفلسطين إلي سدرة المنتهي (أي التي ينتهي إليها علم جميع خلق الله من ملائكة وجن وإنس) حيث البيت المعمور وجنة المأوي. فكان أول بشر يتجاوز كوكب الأرض والأقمار والشمس والنجوم والمجرات. وهي **المرحلة الأولي الملائكية** (أي النورانية) للمعراج، بعد أن تغيرت إليها طبيعة الرسول من الحالة البشرية (بروحه وجسده، الذي كان عليها بالأرض) بقدرة الله، وحتي يستطيع مصاحبة صاحبه الروح الأمين، ولهذا لم يراه أحد من الناس ، وهذا ليس بعزيز علي الله ، وكما جاء بالقرآن الكريم "جنودا لم تروها" :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (التوبة ٤٠)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾

(الأحزاب ٩)

إن تغيّر هيئات الملائكة والجن والإنس والرفع إلي السماء، سبق وأن حدثت من قبل مع بعض الأنبياء مثل : إدريس وعيسي، وإبراهيم، ومريم، عليهم أجمعين السلام .

لقد جاءت هذه المعجزة الخارقة، التي لاعلاقة لها بالدعوة الإسلامية، لتأييد وتشريف الرسول شخصيا، وتقدير مكانته العالية والفريدة عند ربه. لذلك دعاه الله إليه ليُريَه بعض من آياته الكبري :

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾

(النجم ١٠-١٨)

شاهد وفهم الرسول أشياءً يعجز اللسان عن التعبير عنها، وتفوق كل ما يحيط به بصر وإدراك البشر، أي خارج نطاق نظره وفوق إدراكه وفهمه علي مدي العصور السابقة واللاحقة وإلي يوم القيامة .

ثم كانت **مرحلة المعراج الثانية**، وهي إختراق السماوات إلي ما بعد نهاية الكون المخلوق، وحيث يبدأ عالم الغيب (الذى لا يدري حقيقته إلا الله سبحانه وتعالي، ومن أعلمه) والذى يؤدي إلي الحضرة الإلهية، والتي يحتمل تسميتها بفوق الملائكية، أو فوق النورانية ... والله أعلم...، حيث أنها لم تُتَح لأي بشر إلا للرسول محمد فقط. فقد كانت أعلي مكانة ومقاما وإعجازا وغيبا. ولذلك لم يشارك فيها جبريل (وهو من الملائكة المقربين) حتي لا يحترق. تقدم الرسول، صلي الله عليه وسلم، بمفرده، فاخترق وظل يعرج صاعدا إلي السماوات العلا، بقدرة الله، حتي صار في حضرته عزَّ وجل. وكانت تحية الله التي مَنَّ بها علي ضيفه في هذه الزيارة، هي الصلاة. وكذلك منحها لكل فرد من أمته. والصلاة،

هي متعة المصلي بالإنفراد بعبادة ومناجاة الله سبحانه مباشرة وبدون وسيط. وإن صح فقل، فهي معراجه إلي ربه عن طريق الصلاة (وقوف في خشوع، وركوع وسجود ودعوات لله وحده، ثم التسليم) خمس مرات في اليوم والليلة. ولذلك فرضت علي كل مسلم من باب عبادة مانحها له، وهو خالقه .

إن حادثتي الإسراء والمعراج برسول الله، صلي الله عليه وسلم، كانتا في عام ٦٢١ م. ، أي قبل هجرة الرسول إلي يثرب (المدينة المنورة) بعام واحد فقط . وأسري به من بيت إبنة عمه "هند" إبنة أبي طالب (وكنيتها، أم هانئ). وكانت بعد وفاة عمه "أبو طالب" وكذلك زوجته السيدة "خديجة" كما أسلفنا، وفي فترة خطبته للسيدة "عائشة" إبنة "أبي بكر" الصديق، وزواجه من السيدة "سودة" بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس. وتم الإسراء والمعراج بالرسول بعد صلاته بأهل منزله صلاة الفجر، وعاد وفراشه لم يبرد بعد.... ! سبحان الله ... وأخبرهم بما حدث له في صلاة الغداء ... .!

يعتقد العلماء أن الأرض مثلا، تجمدت قشرتها منذ حوالى ٥٠٠٠ مليون سنة مضت، منها فترة خلق العناصر المختلفة التي كونتها هي نفسها. إذاً فالكواكب والأقمار أجسام معتمة تعكس ضوء الشمس الساقط عليها. ولبعض الكواكب عدة أقمار تتبعها وتدور حولها، مثل المشترى وزحل. أما الأرض (قطرها حوالي ١٢٧٥٦ كم.) فيتبعها قمرا وحيدا (قطره حوالي ٣٤٧٦ كم.، وهو أقرب الأجرام السماوية، المعروفة لنا، إلى الأرض، حوالى ٢٤٠ ألف ميل). ولقد ثبت علميا أن السطح الصخرى لقمرالأرض يحتوى على بلورات زجاجية، والتى تتكون عادة من أنواع الرمال النقية (أى السيليكا أو ثانى أوكسيد السيليكون). ولهذا يأتى قمرالأرض فى لمعانه بعد الشمس فى الترتيب .

وعدد كواكب المجموعة الشمسية المعروف لدينا هو تسعة، إحداها الأرض التى نعيش عليها .

وحديثا جدا (عام ٢٠٠٦ م.) أقر علماء الفلك (بمؤتمر أُقيم بالعاصمة التشيكية "براج") استبعاد كوكب "بلوتو" أصغر(قطره حوالي ٢٢٨٨ كم.) وأبعد (حوالي ٥٩١٤ مليون كم.) كواكب المجموعة الشمسية، لصغر حجمه عن الحد الذي اتفق عليه علماء المؤتمر للكوكب. وأضافوا ثلاثة كواكب جديدة إلي المجموعة، وهي: "سيرز" (الذي أعتبر أكبر جرم سماوي) و "شارون" و "إكسينا Xena" (الذي اكتشف عام ٢٠٠٣ م. وقطره حوالي ٢٣٩٨ كم. أى أكبر من بلوتو بنسبة ٣٠%). وبذلك يصبح عدد كواكب المجموعة الشمسية حاليا، أحد عشر كوكبا. وقيل أن هناك أربعة كواكب أخري جاري اكتشافها...، وهي : "سيدنا" و "كواأور" و "فيستا" و "باللا س"....؟

تطوف الكواكب حول الشمس فى مدارات بيضاوية، سابحة من الغرب الى الشرق، ولولا وجود جاذبية الشمس ومساواتها لقوة الطرد المركزية الناتجة من دوران الكواكب حولها، لإنطلقت الكواكب إلى الفضاء الكونى .

ترتيب الكواكب التباعدى من الشمس كالاتى :

عطارد – الزهرة – الأرض – المريخ – حزام الكويكبات– المشترى – زحل (أو السيار) – أورانوس – نبتون – بلوتو .

أما **بالنسبة للترتيب التصاعدى لأحجام الكواكب (المعروف مقاديرها)** فهو :

بلوتو – عطارد – المريخ – الزهرة – الأرض – نبتون – أورانوس – زحل– المشترى .

حزام الكويكبات "كويبر": أكتشف عام ١٩٩٠ م.، وهو عبارة عن عدد كبير جدا من الكويكبات، تجرى بين كوكبى المريخ والمشترى، ويضم آلافا من الجسيمات الصغيرة نسبيا، والتى يعتقد أنها ناتجة عن إنفجار كوكب كبير كان يجرى فى هذا المدار. وهى بذلك لا تمثل كوكب واحد حاليا .

هنا تجدر الإشارة إلى أنه ليس من قبيل المصادفة، أن يكون عدد الكواكب في مجموعتنا الشمسية حاليا هو أحد عشر، ويكون عدد إخوة يوسف، عليه السلام، بنفس العدد... ! وأن يري نبي الله يوسف فى رؤياه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين. وأن تتحقق هذه الرؤيا بسجود إخوته الأحد عشر وأبويه له يوم جمعهم الله علي أرض مصر بعد طول فراق، كما جاء بالقرآن الكريم المعجز من ١٤ قرنا مضت :

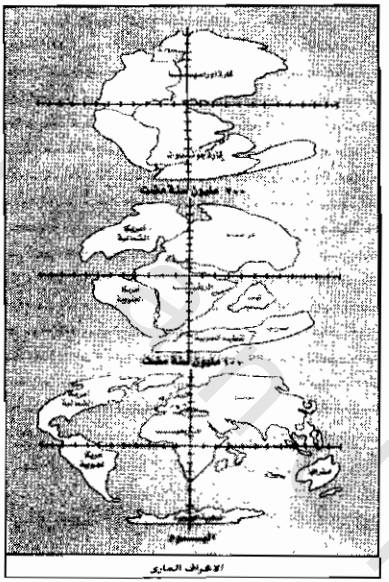

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤ ﴾

(يوسف ٤)

وعلى الرغم من أن الأرض تبدو لنا كبيرة إلا أنها، بالنسبة إلى عالم الفلك، إن هى إلا ذرة تراب (أى هبابَة) فى الكون .عندما برد سطح الأرض إلى الدرجات التى تقاس اليوم، وأصبح قشرة ترابية صلبة ، تم تكاثف بعض غازات الجو (بخار الماء) لتكسوها بالماء والجليد ، وتكون لها بذلك سطح مائي . ثم

ظهر على هذا السطح المائى فى البداية جزء صغير يابس ومرتفع نتيجة ثورة بركانية فى قاعه. وبتوالى تفجير القاع الصلب للسطح المائى، وإلقائه حممه المتراكمة بعضها فوق بعض، تكونت أول جزيرة بركانية. وبالتدريج ومع مضى الزمن، إمتدت هذه الجزيرة الصغيرة (أو التل الترابى) وبسطت إلي كتلة واحدة عملاقة مكونة **القارة الأم "بانجيا** " ذات السماء والأرض والجبال الثابتة. وقشرتها الأرضية مكونة من وشاحين: العلوي أو الخارجي، وصخوره غنية بمادتي السيليكا SiO2 (بنسبة ٧٠%) والآلومينا AlO3 ، ولذلك أطلق عليها اسم السيال Sial. أما الوشاح السفلى فصخوره مكونة من السيليكا (ولكن بنسبة أقل حوالى ٤٥%) والماغنسيوم Magnesium (Mg) ، ولهذا سميت بصخور السيما Sima . وهى تكون قيعان المحيطات، وتمتد تحت القارات. وبدأت أم القارات "بانجيا" فى الإنقسام أولا إلى جزئين ، قارة " أوراسيا Urasia"و قارة "جوناتوانا Gonatwana". واستمر الإنقسام بالتدريج (قدّر بحوالى ٢٢٠مليون سنة) حتى وصل إلى سبع قارات متباعدة عن بعضها حالياً،(وأطلق عليه اسم الزحف القارّى) وهي: آسيا، وأوروبا، وأفريقيا، **واستراليا مع نيوزيلاندا، وأمريكا الشمالية والوسطي، وأمريكا** الجنوبية،وانتاركتيكا (وهي تقع جنوب القطب الجنوبي، وهي غير مأهولة).

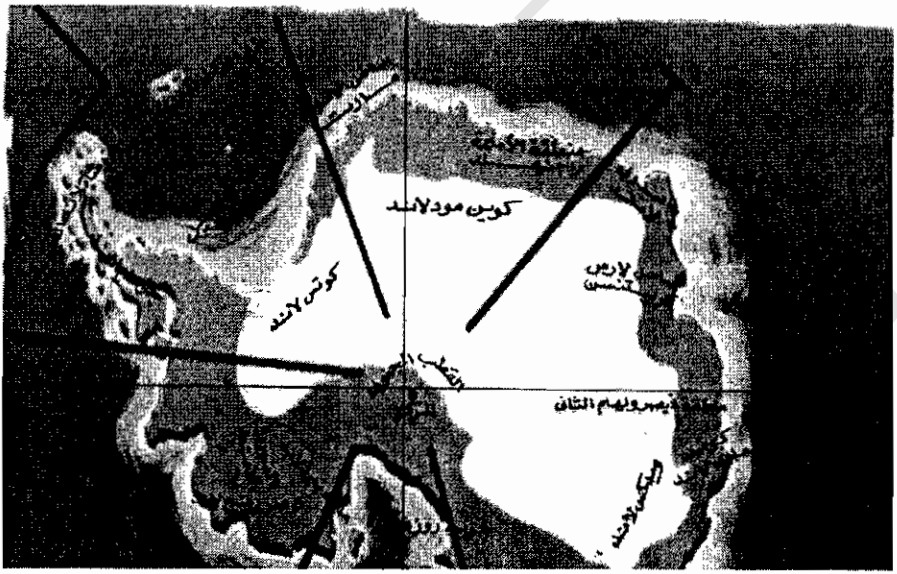

إن بسط الأرض ومدها بدون نهاية، لا يمكن أن يتأتى إلا إذا كانت كروية الشكل. كما أن اختلاف كتل الأرض اليابسة فيما بينها، عما هو عليه اليوم، مع تواجد شبكة الصدوع والخسوف الأرضية، عزز بدوره إنشقاق أرض القارة الأم (أي الإنجراف القارّى) إلى سبعة أجزاء مختلفة، بعيدة عن بعضها البعض، ويفصلها الماء. وظلت تتباعد عن بعضها البعض ببطء حتى وصلت إلى السبع قارات المعروفة لنا حاليا. ولقد أثبت ذلك التشابه الكبير بين تعرجات شواطئ غرب أوروبا وأفريقيا، وتعرجات الشاطئ الشرقى لشمال وجنوب أمريكا، كما لو كانت قطعة واحدة (أى قارة واحدة) وانقسمت. بالإضافة إلى التشابه الشديد بين صخور القارات المختلفة. هذا فضلا عن أنه بواسطة التيارات الناقلة للحرارة فى صخور السيما (التى لها قدرة هائلة على تجعيد القشرة الأرضية وتصديعها) حدث إختلاف كبير فى تضاريس سطح الأرض، خاصة على حواف القارات الكبيرة، مثل: أفريقيا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأستراليا، حيث أرتفعت سلاسل الجبال بفعل الزحزحة أو الإنحراف القارّى. حدث ذلك تدريجيا منذ حوالي ٢٢٠ مليون سنة مضت. ولاتزال اليابسة فى حركة بطيئة حتى يومنا هذا. فلقد أفادت بعض الشواهد العلمية الحديثة، بأن قاع البحرالأحمر(القلزم) قد أُصيب بخسوف أرضية عميقة، وأن قاعه في إتساع بمعدل ١-٣سم فى السنة (قيست فى جنوبه عند باب المندب) وأن ساحل شبه الجزيرة العربية ككل يتحرك فى إتجاه الشمال الشرقى متباعدا عن الساحل الإفريقى. إن هذه الحركة الدائبة تنتج عنها الهزات الأرضية والثورات البركانية وتكون السلاسل الجبلية .

﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ ﴾

(الطارق ١٢)

إن مساحة سطح الأرض حوالى ٥١٠ مليون كيلو متر مربع. وهى تتميز بغلاف جوى غازى، هو الهواء الذى يفصلها عن السماء بإرتفاع ١٠٠٠ كيلو متر تقريبا، فوق سطح البحر. وهو يتكون من غازات مختلفة وبخار الماء وجسيمات. وتعمل هذه المكونات على تشتيت وإنتشار أشعة الشمس الساقطة عليه ليعم ضياؤها. وأهم الغازات هى: الأوكسيجين أساسا (٢١% حجما)، والهايدروجين، والنايتروجين (٧٨% حجما) وثانى أوكسيد الكربون، ومعظم الغازات الخاملة. وكثافة هذا الهواء تقل كلما ارتفعنا عن سطح البحر. وكذلك الضغط الجوى يقل (حوالى نصف قيمته كل ٥،٥ كم. ارتفاع، إلي أن يصل صفرا عندما يصل إلي أعلى إرتفاع له. وتضييء أشعة الشمس نهارا جزءا رقيقا بأسفل الغلاف الغازى، وهو المحيط بنصف الأرض المواجه للشمس. أماخارج طبقة النهار والغلاف الغازى فالكون مظلم شديد السواد. وهناك لايَرى الإنسان الشمس إلا قرصا أزرقا. كما أن الإنسان يفقد حواسه وإتزانه، بل يجد بدنه في تقلب مستمر لإنعدام وزنه. ويشعر بضيق في صدره وفى تنفسه لعدم وجود هواء. ولقد ذُكر ذلك بالقرآن الكريم :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (الأنعام ١٢٥)

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الحجر ١٤-١٥)

يغطى الماء حاليا حوالى ٧١% من مساحة الكرة الأرضية، مكونة غلاف مائى لينظم درجة حرارتها وحرارة الغلاف الغازى المحيط بها. ولهذا أُطلق على الأرض، كما أسلفنا، إسم "الكوكب المائى" .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (المعارج ٤٠)

ولقد أثبت علماء الفلك أن الأرض، فى الحقيقة، على شكل كرة مفلطحة عند قطبيها الشمالى والجنوبى، ومنبعجة للخارج قليلا عند خط الإستواء. .إن دوران الأرض دورة واحدة كل يوم حول نفسها وأمام الشمس، يعطى الليل والنهار المتعاقبين والمشرق والمغرب. وللأرض دورة ثانية حول الشمس فى ٣٦٥ يوما(أى فى السنة) لتعطى الفصول المناخية الأربعة .

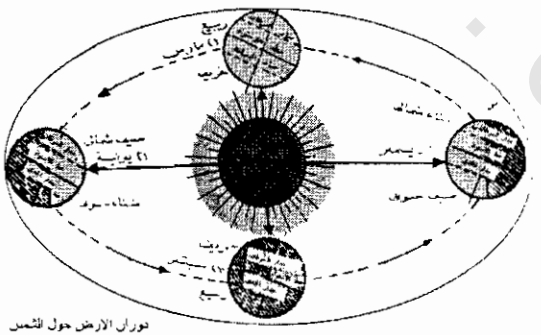

دوران الأرض حول الشمس

وهى تبعد عن الشمس بمسافة مناسبة (متوسطها حوالى ١٥٠مليون كيلومتر،كما أسلفنا) تُعَرِّضُها لقدر ملائم من الحرارة والضوء (يحتاج ضوء الشمس إلي ٨,٣٣ دقيقة ليصل إلى الأرض، كما ذكرنا) مما يساعد على حفظ الكائنات الحية بها ونموها. ولولا حرارة الشمس لكسى الأرض الجليد وكانت بدون حياة. ويكتمل الحفاظ على الحياة بسقوط المياه على هيئة أمطار علي الارض . فيسكن الماء العذب فيها مكونا البحيرات والأنهار. ويتخلل طبقاتها السفلية مكونا المياه الجوفية التى تتفجر عيونا أو تسحب بواسطة حفر الآبار .

لقد لاحظ المصرى القديم وجود علاقة بين إكتمال فيضان النيل عند بلدة " ألفنتين" (أسوان حاليا) فى الجنوب، أوعند مدينة "منف" فى الشمال جنوب الدلتا، وبين ظهور نجم " الأبرق"، ألمع نجوم السماء على الأفق الشرقى قبيل شروق الشمس، أى عند السَحَر(وهو من مجموعة نجوم الشعرى اليمانية "سيد " الدب الأكبر سيريوس). كذلك لاحظ المصرى القديم، أن الفترة الزمنية التى تفصل بين ظهور هذا النجم مرتين متعاقبتين هى ٣٦٥ يوما. ومن هنا توصل المصرى إلى ما عُرف بالسنة الشمسية (أى المعتمدة على دورة الأرض حول الشمس) المكونة من ٣٦٥ يوما لتقدير الزمن. وبالتالى بالشهر المكون من ثلاثين يوما، وكذلك باليوم المكون من ٢٤ ساعة. وبذلك قسَّم السنة إلى ١٢ قسما متساوية (أو شهرا) بفارق خمسة أيام اعتبرها أياما تكميلية، وخصصها للأعياد، وأسماها "النسيء" كشهر صغير، هذا بالنسبة للسنة البسيطة. أما بالنسبة للسنة الكبيسة، والتى تأتى بعد كل ثلاث سنوات بسيطة، فتزيد عدد الأيام التكميلية بها إلى ستة أيام. وبذلك تنتهى دورة الفصول بنفس التاريخ الذى بدأت به السنة. هذا ولقد أطلقوا على كل شهر إسم أحد الآلهة المصرية القديمة. وصارت رأس السنة المصرية القديمة هى أول شهر توت الموافق ١١سبتمبر لمدة ثلاث سنوات، وفى السنة الرابعة توافق يوم ١٢ سبتمبر. ولقد إستمر هذا التقويم آلاف السنين (أى من حوالى ٤٢٤٠ سنة ق٠م٠). ولقد إستمر المصريون يحتفلون برأس السنة هذه كعيد قومى، وأطلقوا عليه أسماء أخرى، مثل: عيد وفاء النيل،

وعيد الفلاح. ولايزال هذا التقويم مُستخدَما لدى الفلاح المصرى حتى اليوم، ويحفظه عن ظهر قلب. ولقد قام المصريون بتأليف أمثلة شعبية تتناسب مع ظروف ومسمى كل شهر (راجع التقويم المصرى القديم) .

التقويم المصرى القديم

الفصول المناخية	شهور السنة الميلادية	الفصول الزراعية	شهور السنة المصرية	أمثال شعبية
الخريف	٢١ سبتمبر	فيضان	١/ توت	رية ولا تفوت (أى لا تدع الفرصة تفوت).
	أكتوبر		٢/ بابة	إدخل وإقفل البوابة.
	نوفمبر		٣/ هاتور	أبو الذهب المنثور (القمح والحبوب).
الشتاء	٢١ ديسمبر	بذر	٤/ كيهك	صباحك مساك أو تشيل إيدك من فطارك تحطها فى عشاك.
	يناير		٥/ طوبة	تخلى الصبية كركوبة.
	فبراير		٦/ أمشير	أبو الزعابيب يخلى الجلد على الحصير.
الربيع	٢١ مارس	حصاد	٧/ برمهات	روح الغيط وهات.
	أبريل		٨/ برمودة	دق بالعمودة (شهر الطحين).
	مايو		٩/ بشنس	إكنس الغيط كنس (شهر الدرس).
الصيف	٢١ يونيو	فيضان	١٠/ بؤونة	بؤونة الحجر (من شدة الحر).
	يوليو		١١/ أبيب	طباخ العنب والزبيب.
	أغسطس		١٢/مسرى نسىء	تجرى فيه كل ترعة عسرة (أى جافة). (٥ أو ٦ أيام تكميلية)

هذا العالم المصرى الذى إكتشف هذه الملاحظات، كان المُعلّم الأول "**توت أو تحوت وقيل هرمس أو إدريس**". وتقديرا له، رفعه المصريون القدماء إلى مصاف الآلهة آنذاك، بل وعُبد كإله القمر والحكمة والعلم. وكان رمزه الطائر أبومنجل" إبيس" (شعار كلية العلوم بجامعة القاهرة حاليا). ولذلك كان هذا الطائر يُحنّط بعد موته، تكريما لما يرمز له من معانى عندهم. كما خلّدوا إسمه على أول شهور السنة المصرية، وعليه إتُخذ هذا اليوم عيدا لوفاء النيل. لقد عُرف هذا التقويم المصرى القديم (أو القبطى كما أسماه العرب فيما بعد) كأول تقويم فى الدنيا. وَوُجدَ هذا التقويم منقوشا فى آثار الأسرتين الخامسة والسادسة (عام ٢٥٦٠-٢٤٢٠-٢٢٨٠ ق.م.). ولقد أُنزل القرآن الكريم فيما بعد (بحوالى ثلاثين قرنا) مؤكدًا لهذا التقويم :

الإله تحوت
(رأس الطائر أبو منجل)

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

(التوبة ٣٦-٣٧)

وكذلك فى حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم :

[إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض. السنة إثنتا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم، ورجب مُضر الذى بين جمادىّ وشعبان] صدق رسول الله .

فلقد كانت قبائل مُضر العربية أشد تعظيما من غيرهم لحرمة شهر رجب، وعدم القتال فيه إلا فى حالة الدفاع عن أنفسهم، كأنهم إختصّوا به، ولذلك أُضيف إسمهم إليه، فأصبح يطلق عليه إسم " رجب مُضر " .

وفى لمحة علمية سريعة، يتبين لنا أن السَّنة على الأرض هى الفترة الزمنية التى تطوف فيها الأرض فى دورة كاملة حول الشمس. وطول هذه المدة يحدده بُعد الأرض عن الشمس (أى نصف قطر مدارها) وسرعتها، وهاتان الحقيقتان ثابتتان منذ خُلق الكون. وبضبط هذه الشهور مع منازل كل من القمر والشمس، أو بدورة القمر حول الأرض (لأنه تابع لها). وهو أيضا يدورحول محوره، أو نفسه، بنفس السرعة، لذا فالقمر يواجه الأرض دائما بوجه واحد. وبذلك يدور حول نفسه دورة واحدة فى كل شهر عربى. وهذه الدورة تمثل يومه الذى يقتسمه ليلا ونهارا. ويطول كل منهما إلى نصف طول الشهر القمرى (أى ١٤-١٥ يوما) .

وبمجرد خروج القمر من مرحلة المحاق (وهى مرحلة " **الإقتران** " أى إجتماع الأرض والقمر والشمس على إستقامة واحدة وبنفس الترتيب) يُولد الهلال الجديد. وبدَورَانه حول الأرض تبدأ منازله فى التنامى تدريجيا، كما ذكرنا: من الهلال الوليد، إلى الهلال المتنامى، إلى التربيع الأول، إلى الأحدب المتنامى، إلى البدر الكامل (حيث تكون الأرض بين القمر والشمس)٠٠٠ ومع استمرار دورانه حول الأرض تعود منازله للتناقص تدريجيا : من البدر، إلى الأحدب المتناقص، إلى التربيع الثانى، إلى الهلال المتناقص، إلى الهلال الأخير، ثم يختفى فى مرحلة المحاق٠٠٠ وهكذا إلى مولد الهلال الجديد من

الشهر التالى٠٠٠وهكذا٠وطول الشهر القمرى عادة، مرة ٢٩ يوما ومـــرة ٣٠ يوما ، وقد يشذ لأسباب فلكية عديدة. كل هذه المعلومات العلمية الحديثة جـــاءت لتؤكد ما جاء بالقرآن الكريم منذ ١٤ قرنا مضت (الأنعام: ٩٦. التوبـــة: ٣٦. يونس: ٥-٦. الإسراء: ١٢. النور: ٤٤. الفرقان: ٦١-٦٢. يـــس: ٣٨-٤٠. الرحمن: ٥) كما أسلفنا .

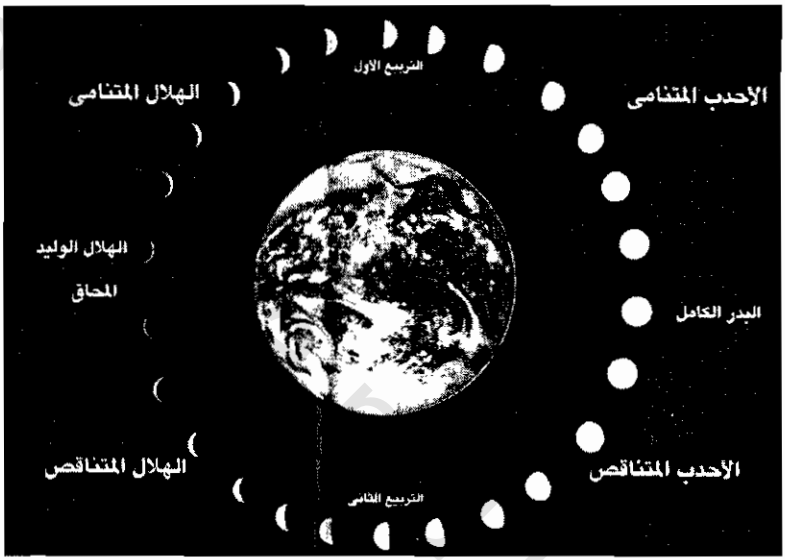

لمّا كانت كل حياة المصريين وإهتماماتهم موجهة إلى الأرض ونهر النيل، فلقد خدم هذا التقويم الزراعة ، من حيث تقسيم السَنة إلى ثلاثة فصول زراعية، هى : غمر الأرض بالمياه مع الفيضان "**أخت**" بالمصرية القديمة، ثم البَذر"**برت**"، ثم الحصاد " **شمه** ". كما أدت هذه الإهتمامات إلى إكتشاف المصـــرى لمبـــادئ علم الهندسة، واستخدامه فى قياس مساحة الدائرة (وطول قطرهـــا ومحيطهـــا) وكذلك المستطيل والمثلث، وبالتالى مساحة أى شكل متعدد الأضلاع. وأيضا فى بناء القرى على الضفة الشرقية للنيل جهة شروق الشمس والنوروالدفء والعمل والحياة. وبناء القبور والأهرام على الضفة الغربية لنهر النيل، حيـــث غـــروب الشمس والظلام والبرودة والنوم والموت. ولمّا كان المصريون منذ بدايتهم أناس يوحّدون الله...! ، لما لا وقد إصـــطفاهم الله ليعاشـــروا **أول نَبيـــيَّن** بعـــد آدم

(**شيث** بن آدم، و**إدريس** من أحفاد أحفاده عليهم السلام) فقد حباهم الله بأرسالهما إليهم ليغرسا فيهم محبة الله وشريعة التوحيد، وحبهم لبعضهم البعض، وحب الحياة فى سلام. ومن هنا شعر المصريون بأهمية الإرتباط الأُسرى، وتنظيم حياتهم بين أنفسهم، وذلك بوضع تقاليد وقواعد يحترمها الجميع بما فيهم أُولى الأمر منهم ، وأسموها " **كوت** " وتعنى الأصل أو الله. وباليونانية بعد ذلك "**كانون**"، وحُرِّفت إلى "**قانون**" بالعربية. وكان أول قانون يُعرف فى الوجود، وأسموه **قانون** "**توت**" تيمناً بإ له الحكمة والعلم. ولقد نُقش فى كثير من الأماكن الأثرية، ولكن بدون نصوص. ولقد دُرِّس هذا القانون بمعبد(أوجامعة) أُون بمدينة "**أون**"(أو هليوبوليس) .

كما كرَّس المصريون جهودهم لتنشيط الصناعات الصغيرة وتطويرها، مثل: صناعات الأوانى الفخارية المنقوشة، وغزل ونسج الوبر والصوف وخيوط الكتان، وصناعة الزجاج من الرمل. وكذلك القوارب والورق والحصير والحبال من نبات البردى. ولقد كانت لصناعة ورق البردى أثر كبير فى تقدم العلوم، إذ حرص المصريون منذ ذلك الحين على نسخ المؤلفات الهامة فى مختلف العلوم والآداب. فضلا عن إستخدامه فى رسائلهم واعمالهم الكتابية والإدارية. ويلاحظ أن من إسم نباته باللغة اليونانية "**بابيروس**" إشتُق إسم الورق.

ذكرنا فيما سبق أن مجرتنا "**درب التبانه**" تضم عددا كبيرا جدا من الأجرام الكونية الموزعة بشكل خاص، كالنجوم (ومنها الشمس) الساخنة المستعرة. فالنجم يحتوىأساسا على أبسط وأخف العناصر، وهو غاز **الهايدروجين** الذى تندمج ذراته مع بعضها البعض لتكوين ذرات من العنصرالتالى(أى الثانى فى الكبر والوزن) وهو غاز **الهيليوم** . ويصحب هذا الإندماج النووى عادة إنطلاق **أشعة جاما** وطاقة حرارية زائدة، يمكن إستغلالها فى تكوين العنصرالتالى(أى الثالث الأكبر). وهكذا يمكن تكرار هذه الإندماجات فى سلسلة لتكوين، تدريجيا، العناصرالأكبر فالأكبر حجما والأثقل وزنا. من هذا يتضح أن النجوم المستعرة

يمكن إعتبارها أفران نووية كونية، تتكون بداخلها العناصر المختلفة، وأهمها المعادن (أى الفلزات) مثل: الحديد والنيكل. وهذا لا يتوفرإلا فى النجوم **العماليق الحمر**(كما ذكرنا). وحين يتحول لب النجم الى **حديد** (أكبر الفلزات كمًا) يختل تماسك النجم، فينفجر تلقائيا وتتناثر أجزاؤه المسماه "**النيازك** Meteorites " فىالسماء على هيئة كتل صلبة قوامها أساسا الحديد والنيكل والبقية من الرمل (وهى أكبر بكثير من **الشهب**) وترتطم بالأرض، الخالية تربتها تماما من المعادن الثقيلة، والمتكونة من العناصر الخفيفة فقط، كما أسلفنا. ومن الممكن أن يدمر هذا الأرتطام المباشر مدينة بأكملها، والسبب موجة الضغط العالى، والزلزلة التى تتبع الإرتطام . ومن حسن الحظ أن مثل هذه النيازك قد حدثت بكثرة (بملايين الأطنان) فى بداية خلق الكون، أما الآن فهى نادرة جدا. ولما كانت تربة الأرض – كما ذكرنا – مكونة من العناصر الخفيفة فقط، فهى خاليه تماما من الحديد. لذلك حبَا الله الأرض برجمها من السماء بهذا المعدن الثقيل الصلب علي هيئة نيازك، لأنه مهم للمخلوقات التي تعيش بها، ونافع للحياة عليها. (النجم: ١. الحديد: ٢٥) كما أسلفنا .

تخترق (أو تَلِج) النيازك **غلاف الأرض الصخرى** (الطبقة الأولى) وتستمر في التعمُّق حتى يستقر أكثر من ثلثها فى **لب الأرض** (أى بنسبة ٣٦% تقريبا) وتكون بذلك قد صَهَرت كومة الرماد، وشكلتها في تروي وعلي مراحل الى سبع طبقات(أو أرضين). وتتناقص نسبة الحديد من اللب فى اتجاه الخارج تدريجيا حتى تصل الى ٥,٦ % فى الطبقة الاولى .

للحديد منافع كثيرة للحياة على الكرة الأرضية، بفضل تواجده فى مركزها الذى أكسبها جاذبيتها (مجالها المغناطيسى) التى بها تستطيع الحفاظ على غلافها الجوى الغازى (أى هوائها) ومسطحاتها المائية (المحيطات والبحار والبحيرات والأنهار) وما عليها من مخلوقات وأشياء ثابتة ومتحركة، في وجود قوة الطرد المركزية للأرض (المعاكسة لقوة جاذبيتها في الإتجاه) نتيجة دورانها حول نفسها. وعليه فالحديد ضرورى لجعل سطح الأرض صالح للحياة وللإعمار.

كما أنه أحد مكونات دم بعض المخلوقات بها، مثل: الإنسان والحيوان وبعض الأنسجة الحيوانية. وتتراوح كميته فى جسم الإنسان البالغ من ٣- ٥ جرامات .

أما النجوم ذات الشعور أو المذنبات Comets فهى ذات أضواء خافتة، ولا ترى بالعين المجردة لانها موجودة على أبعاد سحيقة. وهى تطوف حول الشمس فى أفلاك بيضاوية، ولاتقترب من الأرض إلا نادرا. وعندما يقترب أحدها من الأرض، يظهر أنه كبير الحجم وأنه يتكون من ثلاثة أجزاء : رأس كروية وهّاجة، وهى دائما موجهة إلى الداخل (أى تجاه الشمس) وحولها منطقة شاحبة تسمى " الشوشة"، ثم ذيل طويل موجه دائما إلى الخارج (أى بعيدا عن الشمس). وعلى الرغم من حجم المذنب الجبار (إتساع رأسه من١٠-١٠٠ ألف ميل، وطول ذيله ملايين الأميال) فكتلته على النقيض صغيرة جدا جدا، لأن مكوناته من غازات وغبار وحصى تكون متباعدة جدا، بحيث أنه يُغيّر مساره متباعدا إذا ما صادف فى طريقه أحد الكواكب، بينما يظل الكوكب على حاله بلا تغيير. وهذا يبين أن كتلة المذنب تعتبر تافهة بالنسبة لكتلة الأرض. ولهذا فقد مرت الأرض خلال ذيل مذنب "هالى" فى عام ١٩١٠م.، وكان من الصعب ملاحظة ذلك . هذا المذنب يُنسب إلى إسم مكتشفه ، وظهوره كل ٧٥ سنة .

ويتوقع العلماء أن صدي صوت الإنفجار العظيم ما زال ينطلق نحو أطراف الكون منذ بدأ التكوين. بل ونجح عالمان في تسجيل هذا الصوت في مختبر "بل" الأمريكي. إن الظروف الكونية تختلف اختلافا كبيرا عن ما يراه الإنسان في حياته اليومية ويتصوره عقله. فهناك اصقاع الكون البعيد التي تنخفض فيها درجات الحرارة حتي يتجمد كل شئ في الوجود، حتي حركة الذرات. وهناك أخري علي النقيض ترتفع فيها الحرارة ارتفاعا شديدا لايتصوره عقل. وقد تتلاشي الكثافة في مناطق أخري حيث لا تزيد عن ذرة واحدة في المتر المكعب من الفراغ. ومن حسن حظ الإنسان، أنه يعيش في مكان هادئ في مجرة هادئة فلا يصلها إلا رذاذ الإنفجارات الضخمة التي تجري في فضاء الكون العظيم .

كما يري العلماء أنه مع مرور الزمن، سوف تنطفي النجوم في جميع المجرات تدريجيا. ومن ثم تنخفض درجات الحرارة حتي يتجمد كل شئ ويتوقف عن الحركة. ويختفي الضوء الآتي من المجرات الإعتيادية وغيرها المجهول ... ! وهو ما يثير الغموض حول مصدره .

ورغم تقدم وسائل البحث العلمي حديثا، إلا أن نظرية تكوين الكون ما زال يكتنفها الكثير من الغموض حيث، كما يري البعض، أن معرفة العلماء عن الكون لا تتجاوز ١% من الحقيقة. لكن هناك بعض المحاولات الجادة لشرح بعض المجاهل الكونية، آخرها أن الكون سيتوقف عن التوسع، وينهار نحو الداخل. والسبب فقدان الكون للطاقة الكامنة التي تدفعه للتمدد تدريجيا، مما سوف يؤدي إلي إنكماش الكون، بفعل الجاذبية، ليعود مرة ثانية إلي صفر بدايته.

obeikandl.com

الظل الظليل

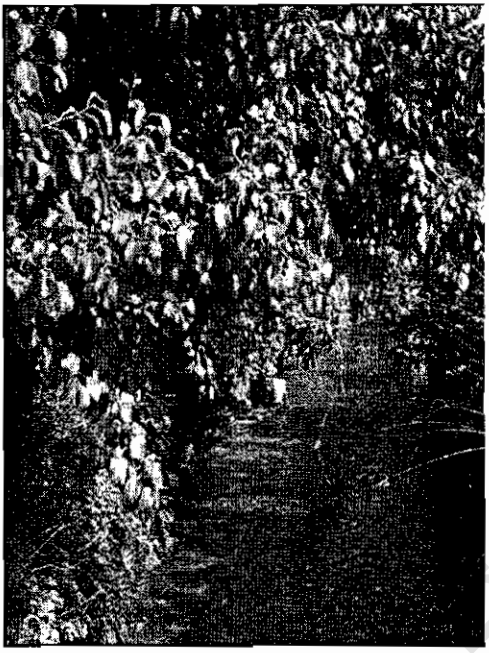

يتكون الضوء المرئي من مكونات دقيقة من الطاقة تسمى "فوتونات". وهو يسير في الأوساط الشفافة المتجانسة على هيئة موجات في خطوط مستقيمة، ومجمعة في حزم ضوئية. وتتراوح شدة إضاءته ما بين ألف إلى مئة ألف " ليومن" على المتر المربع من سطح الأرض، حسب شفافية الغلاف الجوى. والليومن هي وحدة قياس شدة الضوء المرئي، وتعرف بكمية الفيض الضوئي الذي ينبعث في الثانية على المتر المربع من شمعة عيارية واحدة. والضوء المرئي يعجز عن اختراق الأجسام المعتمة، مثلا: الجبال والأشجار والمباني والسحب وغيرها... مكوناً ظلالا لها. ويتكون الظل عادة، في عكس الاتجاه الذي يأتي منه الضوء المرئي .

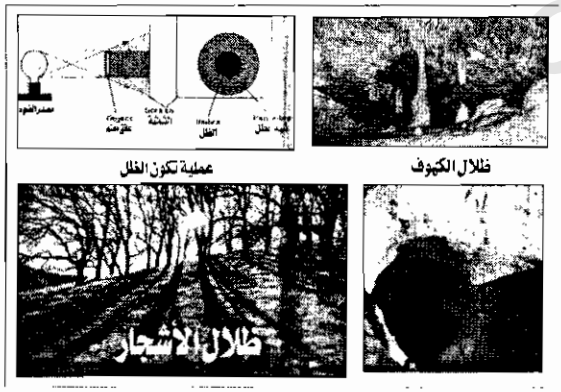

والضوء المرئي عديم اللون لعين الإنسان. وهو ضوء مركّب، يتكون من سبعة مكونات أو "أطيا ف"مختلفة في ألوانها وأطوال موجاتهاوسرعات ترددا تها. وهى على التوالي: الطيف الأحمر(أطولُها موجة وأبطئها تردداً) ثم البرتقالي ثم الأصفر ثم الأخضر ثم الأزرق ثم النيلي ثم البنفسجي (أقصرُها موجة وأسرعها تردداً) وهى الألوان التي نراها في السماء عند ظهور أشعة الشمس في يوم مطير، والمعروفة باسم "**قوس قُزح**" .

التعرّض المباشر لضوء الشمس في يوم شديد الحرارة ولمدة طويلة جدا (أي أكثر مما يُحتمل) يُصيب جلد الإنسان بأمراض عديدة، منها: الحروق والحساسية والإكزيما والأورام السرطانية الخطيرة .

لقد قسَّم الله مخلوقاته العديدة إلي نوعين: أولهما هو ما نراه ونشاهده في عالمنا. أما النوع الثاني فيشمل ما لا نراه، كعالمي الملائكة (المخلوقة من النور) والجن (المخلوق من نار السموم) لخروجها عن نطاق الإحساس البصري بالعين المجردة :

﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الحجر ٢٧)

فضوء الشمس مثلا، نري منه جزءا ضئيلا هو طيفه المرئي بألوانه السبعة المعروفة (كما أسلفنا). وهناك أيضا، منطقتان غير مرئيتان، إحداهما قبل أطيافه السبع والأخرى بعدها: الأولى تُسمى " **تحت الحمراء** " و تأتى قبل منطقة الطيف الأحمر. والثانية تُسمى " **فوق البنفسجية** " وتأتى بعد الطيف البنفسجي. والأشعة تحت الحمراء أشعة حرارية (موجتها أطول من موجة الطيف الأحمر) فهي التي تجعلنا نشعر بالدفئ عندما نتعرض لضوء الشمس. ولهذا فهي تُستخدم في عمليات التدفئة والتجفيف (في الصناعة والزراعة) وفى عمل الأفران والصوبات .

أما أم بالنسبة للأشعة فوق البنفسجية، ففيها منافع كثيرة للأحياء بالتعرض لها في حدود معينة. وفي نفس الوقت فيها ضررا بالغا لهم إذا تجاوزت هذه الحدود. لأنها تدمر خلايا الجلد الحية إذا تعرضت لها لساعات عديدة أو أُسيئ استخدامها. فتصيب الجلد بمرض السرطان الأسود، لتواجد صبغة الميلانين السوداء به، واحتراقه Melanotic cancer or Melanoma (راجع موضوع جلد الإنسان وعمله، فيما بعد). ويبدأ بالوجه ثم الذراعين ثم الساقين وهكذا..... كذلك تصيب العينين بمرض "الساد" (المياه البيضاء)، وأيضا الجهاز المناعي في الجلد. لذلك يَمِنُ الله علينا بأن جعل لنا مما خلق، ظلالاً لحمايتنا من المرض والهلاك .

ويجب العمل بنصيحة الرسول- صلى الله عليه وسلم- والتي تقول :

[إذا كان أحدكم في الشمس- أي في وضح النهار- فقلص عنه الظل، فصار بعضه في الشمس وبعضه في الظل فاليقم]. (أخرجه أبو داود في سنَته) .

ولقد هيَّأ الله لمخلوقاته علي الأرض حياة آمنة عن طريق صمام أمان بغلافها الجوي، وهو غاز الأوزون الذي يسمح بمرور ما يكفي حاجة الأحياء دون زيادة أو نقص، وذلك عن طريق تحلله بواسطة الأشعة فوق البنفسجية الزائدة إلي أوكسيجين، كما أسلفنا. أما الأشعة فوق البنفسجية اللازمة فهي مفيدة في إبادة الجراثيم والميكروبات، وحفظ وتعقيم المواد الغذائية المحفوظة، وغرف العمليات الجراحية، وغمر غرف منازلنا بأشعة الشمس. كذلك أفادت في صناعة المصابيح الفلورية (أو الفلورسنت) ذات الضوء الأبيض، والمجاهر (الميكروسكوبات) لرؤية أدق المرئيات التي لا يمكن رؤيتها بالمجاهر العادية .

فالظل هو أحد نعم الله، سبحانه وتعالي، علي عباده من المخلوقات المتحركة في السماوات والأرض وما بينهما (أي من الأجرام والملائكة والنبات

والحيوان والجن والإنس). فجعل لهم من الأشجار وغيرها (مثل كهوف الجبال والثياب والدروع) ظلالاً ومساكن ولباساً تقيهم شر الحر، وتصونهم من قسوة الطقس، والاعتداء الخارجي والحروب. مما يستحق له منهم العبادة والسجود شكراً، والخضوع لإرادته طوعاً أو كرهاً لما يحل بهم. حتى ظلالهم، وما يحدث لها من تغيّر أثناء النهار، خاضعة لأمره تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

(النحل ٨١)

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾ ﴾

(الرعد ١٥)

ويمكن تعريف الظل طبقاً لعالم الإنسان وعلمه الحديث المتواضع(الإسراء : ٨٥) ، بأنه خيال كل شئ معتم أثناء نور النهار البارد. وظلمة الظل خفيفة (لأنه إنخفاض فى شدة الضوء المرئ وليس غياب كامل له) وحرارته باردة لطيفة :

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ ﴾ (فاطر ١٩-٢١)

لذلك فإن ملاحظة الظل ليست سهلة، والذي يثبت وجوده أشعة الشمس الذهبية الحارة. والظل ليس بساكن، وحركته من قِصَرٍ وطول أو ضيق وإتّساع، حسب أوقات النهار صباحاً وقبل غروب الشمس (كما جاءت بالقرآن الكريم منذ ١٤ قرنا) :

﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

(الواقعة ٣٠)

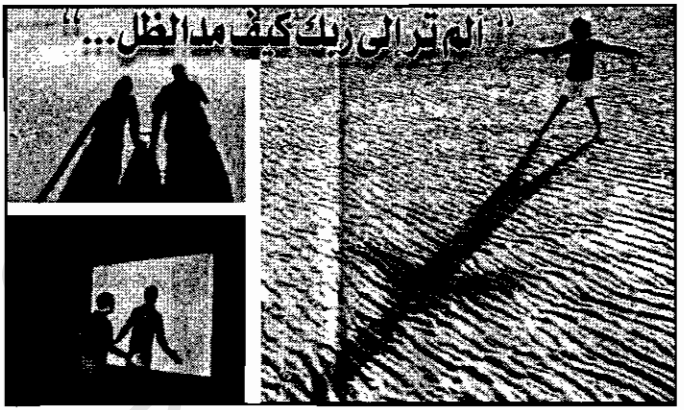

ثم وضحها علمنا حديثا، فلقد ثبت أن حركة الظل تدل علي دوران الأرض الكروية حول الشمس (بسرعة ٣٠كيلومتر فى الثانية) مرة كل سنة، وكذلك دورانها حول نفسها (أي محورها، بسرعة ٣٠كيلومترفى الدقيقة) مرة واحدة كل يوم :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾

(الفرقان ٤٥-٤٦)

ولولا ذلك ما تكوّن الظل ولا إمتد ولا قصر، ولا تبادل الليل والنهار، ولا تتابعت الفصول المناخية الأربعة (التي سبق ذِكرُها) ولا أمكن حساب الزمن، ولما بدت الأشياء المجسّمة واضحة الملامح .

عند كل من شروق الشمس وغروبها، فإن أشعتها تظهر فى مستوى الأفق. فتخترق سمك الغلاف الغازى الكبير، فتتشتت الأطياف القصيرة قبل وصولها للأرض، وتتركزالأطياف المتوسطة والطويلة، والتى أطولها الطيف الأحمر، فيغلب هذا اللون عند الشروق والغروب. ويصل أيضا ظل كل شئ إلى أقصى

مداه طولا. ومع إرتفاع الشمس فوق الأفق يتقاصر طول الظل يسيرا (أى تدريجيا) حتى الظهيرة، عندما تتعامد الشمس وتصبح فى الوضع الأقرب إلى الأرض الكروية (المفلطحة عند قطبيها) فيغلب لون الطيف الأصفر القصير الموجة، وتزداد حرارتها، ويتقاصر طول الظل إلى أقصر طول له. ويختفى الظل (كما قال المولى جلّ وعلا) مع غياب الشمس (أى بعد غروبها). إذا فالظل يتبع حركة صاحبه إذا كان متحركا، وكذلك يتبع حركة مصدر الضوء المسبب له. والمزولة الشمسية (أول جهاز إستخدمه الإنسان لقياس الوقت) تعتمد فى تصميمها وعملها على حركة الظل التدريجية .

ويُعتبر كل من كسوف الشمس وخسوف القمر صورة من صور تكون الظل، الذى يحدث بمرور الأرض فى ظل القمر، أو بمرور القمر فى ظل الأرض. وكذلك تتكون منازل القمر المتتالية من المحاق تزايديا إلى الهلال الأول ثم التربيع الأول ثم الأحدب الأول ثم إلى البدر الكامل. ومثلها تناقصيا من البدر الكامل تدريجيا إلى المحاق كل شهر، نتيجة خروج نصف القمر المواجه للأرض تدريجيا من ظلال نصفه الآخر، ثم دخوله تدريجيا فيها (كما أسلفنا) .

وعند قيام الساعة، تفقد المجموعة الكونية إتزانها من سماوات وأرض وما بينهما وما تحت الثري (طه : ٦). وتموج البحار والمحيطات وتتصل ببعض، وتصبح الأرض غير الأرض، وتميد الجبال وتتفتت حتي تصير كالغبار المتطاير :

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ ﴾

(الواقعة ١-٦)

وتلفظ الأرض ما في باطنها من قبور . وتُبعث الموتى فى أسراب كالجراد مسرعين للقاء الله :

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ ﴾

(الانفطار ١ – ٤)

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ ﴾

(يس ٥١)

﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ ﴾

(القمر ٧)

وتختفى أوتشف كل المواد المعتمة (أي تصبح شفافة) وتذهب ظلالها ولا يبقي إلا ظل ربك الدائم وظلال جناته .

ولقد بشّر الله سبحانه وتعالي المؤمنين المتقين الذين عملوا الصالحات (أي أصحاب اليمين) بأنه سيُحييهم حياة ناعمة، في جنا ت النعيم التي تجري تحت أشجارها الأنهار، وفي ظل ظليل دائم وسابغ :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧ ﴾

(النساء ٥٧)

﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ۝٣٥ ﴾

(الرعد ٣٥)

﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(يس٥٥-٥٦)

أما الأشقياء الكفار اللاهين عن طاعة الله (أي أصحاب الشمال) فقد وعدهم الله بعذاب أليم في جهنم :

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

(يس٦٢-٦٣)

وفي ظل من دخان حارمتشعب لعَظَمِه، شديد السواد وغير قابل للإستنشاق، فهو لا ظليل ولا يقى من الحرارة :

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

(الواقعة٤١-٤٤)

وصدق المصطفي صلي الله عليه وسلم حين قال (عن أبي هريرة) :

[سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله : إمام عادل – وشاب نشأ في طاعة الله تعالي – ورجل قلبه معلق بالمساجد – ورجلان تحابا في الله أجمعا عليه وتفرقا عليه – ورجل دعته إمرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله – ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتي لا تعلم شماله ما تنفق يمينه – ورجل ذكر الله خا ليا ففا ضت عيناه] .

خلق الإنسان و الأحياء الأخرى

خلق الله جميع مخلوقات الأرض الحية (النبات والحيوان والإنسان والبشر) من بداية واحدة، وهى العناصر المتعددة بتراب الأرض والماء. إذاً فالأحياء متصلة بعضها ببعض، فالصلصال أو الطين اللزج (ماء الأرض مع تراب قشرتها) مع النفخة الإلهية كونت المخلوق الحى على إختلاف أنواعه وأشكاله .

لقد بدأت الحياة علي الأرض منذ حوالي ٤٠٠٠ مليون سنة مضت. وعاشت النباتات فى مياه البحار والأنهار قبل أن تغزو سطح الأرض. وكان أغلبها من الطحالب والأعشاب البحرية. وبالتطور التدريجى نشأت منها نباتات اليابسة عن طريق مياه المد، التى كانت تغطيها بإنتظام. فمن تراب الأرض أخرج الله النبات والحب والثمار والبذور والنوى والمرعى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

(فاطر ٢٧)

إذاً فوجود التربة على سطح الأرض هو سبب إنتشار النبات، لأن الأرض الصخرية والرملية لاتصلح لنمو النبات بغض النظر عن الجو والأمطار. ومع هذا فالصخر الذى يتكون من الطين المتصلب أوالسيليكا (الحجر الصوان) عادة يحفظ النبات الواقع فيه قبل تصلّبه ويسمى"أحفورة نباتية"،كما أسلفنا. ولنبات الأرض طبقة رقيقة (أو أدمة من الكيوتين) غير منفذة للماء. وهى تحفظه من الجفاف بواسطة البخر. ولقد هيأت القدرة الإلهية لهذه النباتات، الفرصة لتقوم بنفسها بإعداد المواد العضوية اللازمة لنموها، من مركبات غير عضوية بسيطة من البيئة المحيطة بها (أرض وسماء وهواء وشمس) فتحصل على الماء والأملاح القابلة للذوبان من التربة، وعلى غاز ثانى أوكسيد الكربون من الهواء، وعلي الطاقة من الشمس. وتتولى النباتات بنفسها عملية بناء الأنواع المتعددة من المركبات العضوية المعقدة مثل: الكربوهايدرات والبروتينات والدهون والفيتامينات والهورمونات والإنزيمات والأحماض العضوية وغيرها. ولذلك تعتبرالنباتات إحدى المصادر الأساسية لغذاء الإنسان والحيوانات آكلة النبات والأعشاب، ومصدر الطاقة الحيوية فى أجسامها .

بعد ذلك خلق الله سبحانه الحيوانات البحرية غير الفقارية، ثم الأسماك، ثم البرمائية. وبالتطور التدريجى نشأت زواحف البحر والبر والجو، مثل الدناصير(الديناصور هو سحلية ضخمة ، ولقد عثر على عظام ثانى أضخم ديناصور عاش فى جنوب الواحات البحرية بالصحراء الغربية بمصر وقتما كانت هذه المنطقة مطيرة وبها بحيرات وأشجار. وكان إرتفاعه حوالى ٢٨ متراً ووزنه يصل إلى ٧٠ طناً . وكان يتميز بالرقبة الطويلة، والرأس الصغير، والذيل الطويل، ويعيش على النباتات). ثم نشأت الحشرات والطيور، والحيوانات الثديية والثديية المشيمية، والبرية الأليفة وذوات الحوافر، والمفترسة والقارضة والخرطومية والحيتان، ثم القردة .

وأخيرا خلق الله (جلَّ وعلا) الإنسان والبشر، أرقي مخلوقاته، من طين (أى من تراب الأرض ومائها) :

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾

(السجدة٧)

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ ﴾

(الروم٢٠)

ومن أقوال المصطفي، صلي الله عليه وسلم :

[الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب] رواه الترمذي .

وبموت الإنسان يعيده الله إلى أصله (أى إلى تربة الأرض) وهو سبحانه قادرعلى إخراجه منها مرة ثانية يوم القيامة :

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ ﴾

(نوح١٧-١٨)

﴿ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

(يونس٤)

الصورة التالية تبيّن:

عدادات الأجل فى داخل الخلية الحية، حيث الأغطية الطرفية لكل جسيم صبغى (البقع الصفراء) تحدد الأجل بتناقصها التدريجى مع كل إنقسام للخلية حتى ينتهى الأجل مما يدعو إلى تسميتها باسم عدادات الأجل (Longivity Meters).

إن لبنة كتلة جسم الإنسان هى" الخلية " الحية، وهي دقيقة (لا تُري بالعين المجردة ، قطرها ٠،٠٣ من المليمتر في المتوسط)، وهى متعددة الأنواع والأشكال. فضلا عن أنها معقدة التركيب ، وقابلة للنمو والتجديد عن طريق الهدم والبناء، وبصفة مستمرة مع طول العمر (فيما عدا خلايا الجهاز العصبى، فيُولد بها الإنسان ويعيش بها دون تبديل حتى الموت). إذاً فخلايا أجسامنا تموت وتُجدد مرات ومرات طالما الجسم حيا (يونس: ٤. الروم: ١٩،٢٧) منها :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الروم٢٧)

ويتخلـّص الجسم من الخلايا الميتة عن طريق أجهزة الإخراج فيه، فتعود إلي تراب الارض .

تتكون الخلية من جدار غشائي رقيق ومسامي، لكي ينظم عبـور مختلـف المواد من داخل الخلية إلي خارجها وبالعكس. وهو يضم السائل الخلوي الـذي يُعرف باسم "السايتوبلازم". و تسبح فيه نواة الخلية التي تحمل الصفات الوراثية لها، والتي كذلك تتحكم في جميع أنشطتها الحيوية، مثل النمو والتكـاثر، عـن طريق الإنقسام. وبدون هذه النواة تصاب الخلية بحالة من الفوضي، مما ينـتج عنها: إما الإنقسام السريع العشوائي فتكون الأورام. وإما الإنقسام البطئ فتصاب الأنسجة بالوهن والضمور :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾

(القمر ٤٩)

ويكوّن الماء أهم وأكبر مكوّنات الخلية، بنسبة ٦٧% :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(الأنبياء ٣٠)

أما بقية مكوّنات خلايا الجسم (٣٣%) فأغلبها مـن العناصـر الأساسـية وعددها ست: الأوكسيجين والكربون والهايدروجين والنـايتروجين والكالسـيوم والفوسفور. أما بقية المكوّنات فهى أيضا من العناصر ولكنها تعتبـر إضـافية (٦٦،- %) وعددها ثمانية: الصوديوم والبوتاسيوم والكبريت واليـود والحديـد والنحاس والماغنسيوم والمنجنيز .

خلق الله البشر (أى الإنسان الذي حباه الله بقدرة منه، هي العقل والتعقل) لكي يكون حرا في أفعاله، ولذلك كان مسئولا عن تصرُّفاته، وفي اختياره بين الأيمان بخالقه أو الكفر به. وهذا الذي جعله يتحمل هذه الأمانة (أي المسئولية والتكاليف من أوامر ونواه) دون خلق الله الأخري من الكائنات، كما جاء بالقرآن الكريم :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾

(الأحزاب ٧٢)

لذلك جعل الله طلب العلم (أو التعلم) فريضة علي كل إنسان. وبذلك يستطيع تسخير علمه وفكره من أجل خير الإنسانية وتقدمها. ومن هنا كانت أول كلمة من الوحي الإلهي علي رسول الله محمد، وهي " إقرأ " موجهة لمخاطبة عقله:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾

(العلق ١-٥)

وعند مرحلة عمرية معينة للإنسان، ولأسباب مختلفة تصاب خلاياه الحية بظواهر تُميتُها بطريقة منظمة، أو مبرمجة، في مكان وزمان غير معلوم، يستحيل معها تفادي أو تأخير هذا الموت الحتمي الإلهي :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

(الأعراف ٣٤)

الموت هو مفارقة الحياة وهو مصير محتوم على كل حى بتقدير من المولى عزَّ وجل ، فلا يتقدم أو يتأخر عنه أحد .

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

(الواقعة ، ٦٠)

فتقديرالموت، عملية مبرمجة فى الشفرة الوراثية عند خلق الجنين، وكذلك صفاته السائده التى سوف تظهرعليه فى مستقبل حياته المقدره له، ومنها أجله ورزقه وعمله، وشقى أم سعيد. وبإستثناء الحوادث التى تنتج عنها إصابات قاتله، فإن الموت يدب بالتدريج في كل جسد حي، مبتدأً من خلاياه، فأنسجته ثم أعضائه، ومنتهيا بانهياره إنهياراً كاملاً. والذى يعلن طبياً بتوقف كل من القلب والرئتين عن العمل، وانتشار الزرقه في الأطراف والشفاة، وتوقف حركة العينين. وإنخفاض في درجة حرارة الجسم وتصلبه، وظهورعدد من البقع الدمويه على الجلد . وعلى كلٍ، فإن الموت الحقيقي يتحدد بموت الدماغ، الذي من ظواهره الإغماء الكامل. ولقد لوحظ أن بمجرد فقد الخلية الحية لقدرتها على الإنقسام، فإنها تبدأ في الإحتضار عن طريق إنفجارها وإنفجار نواتها.

وفي يوم القيامة يبعثه الله، سبحانه، ويعيده للحياة من جديد. إن أول بعث للموتي من القبور يكون نتيجة هطول مطر خاص، كما يقول الصادق المصدوق:

[يُنزِّل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البَقل]. عن أبي هريرة .

فيهب الموتي علي اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم من كل صوب، كأسراب الجراد المنتشرة والكثيفة العدد، مسرعين في اتجاه واحد، هو الإتجاه الذي يؤدي إلي ربهم الواحد الأحد .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

(الأعراف ٥٧)

﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ (القمر ٧-٨)

وقال النبي، صلي الله عليه وسلم :

[**يُبعث كل عبد علي ما مات عليه**] عن جابر بن عبد الله .

أي يبعثه الله علي الهيئة التي مات عليها .

لقد ثبُت علمياً، أنه بمجرد إخصاب بييضة الأنثي (أي خلية التكاثر الأنثوية) بواسطة الحيوان المنوي (أي خلية التكاثر الذكرية) تبدأ "**النطفة الأمشـــاج**"، أي المختلطة (زايجوت zygote) في الإنقسام حتي تتكون "الكيسة الأرومية". وهذه بالتالي تنغرس في جدار رحم الأنثي مكونـــة"**العلقـــة**"، حتـــي يظهـــر **الخـــيط (أوالشريط) الأولي وبه عقدة في نهايته .**

فيحدد موضع ظهورهما مؤخرة الجنين. ثم يبدأ هذا الخيط والعقدة الأولين (أو **المنظم الأول)** في تنظيم عمليات تخلـّق جميع أعضاء وأجهزة الجنين، وأولهـــا الجهاز العصبي. هذا، ولما أدرك علماء الأجنة أن خلايا الشريط الأولـــي قـــد وهبها الله، سبحانه وتعالي، قدرات فائقة علي عملية التخليق، أطلقوا عليها أســـم "**خلايا الشريط الأولي ذات القدرات المتعددة**". وبعد تمام نمـــو جميـــع أجهـــزة الجسم، ينسحب الشريط الأولى، بعد إنكماشه السريع، ليُختزن في نهاية العمـــود الفقري (**العصعص**). ولقد ثبُتَ أن هذا المنظم الأول (**أو عجب الذنب**) لا يتـــأثر بالسحق والغليّ والحرق .

هذا، ولقد تبيَّن أن عجب الذنب يتكدَّس علي هيئة عظمة واحدة في نهايـــة العصعص بحجم حبة الخردل، وهو لا يبلي أبدا .

قال رسول الله، صلي الله عليه وسلم، في كيفيَّة البعث (عن أبي هريرة) :

[كل ابن آدم يأكله التراب إلاَّ عجب الذنب، منه خُلق وفيه يُركب.]

[ليس من الإنسان شئ إلاَّ يبلي إلاَّ عظما واحدا هو عجب الذنب، ومنه يُركب الخلق يوم القيامة.] صدق رسول الله .

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾

(النجم٤٤-٤٧)

إن علوم الأحافير الإنسانية والآثار والأجناس والطب في عصرنا الحديث تؤيد أنه لم يعثر علي أي أثر لمخلوق إنساني كان يعيش علي الأرض قبل ٦٠٠ ألف سنة (٦٠٠٠ قرنا) أي قبل العصور السحيقة .

هنا نحب أن نبيّن أن العلم الحديث، الذي نستعين به اليوم، لا يقوم علي النظريات الفكرية القابلة للصواب والخطأ بتاتا، ولكن يعتمد أساسا علي اكتشافات علماء الآثار والتنقيب، وعلي التجارب المختبرية والمشاهدة والإستنتاج .

فالمراجع الدينية، بما فيها الكتب السماوية، لم تؤيد هذه الحقيقة العلمية، فيما عدا – من وجه نظري – القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي أُنزل قبل عصر نهضتنا العلمية الحديثة بأربعة عشر قرنا مضت. فهو لم يغلق الباب في وجه هذه الحقيقة العلمية، بل أستطيع أن أقول أنه نوه عنها بلغته العربية الخاصة، وبلمسة منه رقيقة وخفية لا تغيب عن قلب كل مؤمن بخلق الله القادر، الذي وسع علمه كل شيء .

الرأي العلمي :

لقد بدأ الخلق الأول للإنسان في العصور السحيقة، أي منذ أكثر من نصف مليون سنة ، أي في الحقبة القديمة (جيولوجيا في العصر الحجري القديم ، الباليوليتيك ، من ٦٥٠ – ٨ آلاف سنة قبل الميلاد). ولقد دلّت علي ذلك النقوش الغريبة التي رسمها هذا الإنسان علي جدران كهوفه، وكذلك حفريات التنقيب عن مقابر جثث الإنسان أوبقاياه المتحجرة. وأيضا الآثار التي ضمّت الأدوات والأواني والأسلحة ومخلفات القبور (مثل: جماجم إنسان جاوه وإنسان بيكين ، التي عثر عليها بشرق آسيا وشرق ووسط أفريقيا، والتي قدرت أعمارها علميا من٦٠٠ – ٢٥٠ ألف سنة مضت. ثم إنسان "نياندرتال " بجنوب أوروبا والشرق الأوسط والعراق (من٢٥٠ – ١٠٠ ألف سنة ، ثم إنسان " الكرومانيون" بجنوب ووسط أوروبا وروسيا وأمريكا (من ١٠٠ – ١٠ ألف سنة قبل

الميلاد)٠ ويبدو أن سلالات هذا الإنسان المتعاقبة بدأت حياتها بالمناطق الأكثر إنخفاضا ودفئا في الأرض، حيث تكثر المياه (كمستنقعات) والنباتات والأشجار والحيوانات، وكلها سبقت الإنسان في الخلق علي الأرض. أما مناطق العالم الأخرى فكانت ميدانا من الجليد يصعب إستيطانها، وقد تم ذلك بعد إنحسار الجليد .

قيل أن في الفيوم بمصر عاش النموذج الإنساني الأول منذ ثلاثين مليون سنة. بعد ذلك مر هذا الإنسان في سلسلة تطورات مرحلية إلي أن بدأ يأكل النباتات واللحم، وينطق ويفكر. هذه التطورات المثيرة أعلنت في مؤتمر علمي دولي في باريس، عام ١٩٨٤م.، للبحث عن مفهوم بالقرن العشرين لنشوء الإنسان الأول وتطوراته. وبالإعتماد علي نتائج الفحوص والتحاليل التي أجريت علي بقايا وجماجم الهياكل العظمية للإنسان، التي اكتشفها علماء الآثار، يبدو أن تطور الإنسان مر بأربعة مراحل كبيرة تنتهي "بالإنسان الحاذق" (هوموهابيلوس). ومنها إنبثق "الإنسان البناء" (هوموأريكتوس) وبعد ذلك ظهر الإنسان الأول (الهوموسابينس) وهو الأقرب للإنسان الحديث.

بجانب الشبه بين آخر أطوار الإنسان الأول (الهوموسابينس) والإنسان الحالي من بني آدم ، إلا أنه قد لوحظ قلة إرتفاع جبهة رأسه (أو إنسحابها إلى الخلف) وبالتالي صغر حجم جمجمته، وعليه صغر حجم مخه ٠ فقد كان هذا الإنسان (وذريته) تقوده قوة غرائزه وشهواته وذكائه الفطري، ليعيش حاضره فقط ولم يفكر في مستقبل حياته ومعيشته٠ ولهذا كان همجيا وهداما وسافكا للدماء٠ ومن الثابت أنه كان يعيش علي الصيد فقط،

وذلك من الكميات الكبيرة من بقايا عظام الحيوانات التي كانت تجاور بقايا عظامه. وكان يأكل طعامه (المكون من النباتات واللحم) نيّئا فى البداية، ثم عرف النار مصادفة عن طريق حك الخشب الجاف مع بعضه، ثم بقدح الحجارة الصلبة، مثل حجر الصوان (أي السيليكا أو أوكسيد السيليكون) وكذلك التى بها خام الحديد مثل البايرايت (أوكبريتيد الحديد). فكان الإكتشاف طفرة هامة فى تطوره. ولقد تميَّز بقامته المستقيمة الطويلة، وبجمجمته الأضخم وبمساحة وجهه الأوسع. يلاحظ هنا أن كل شئ نسبي حتي الآن....والمسألة لا تزال متعلقة بمستجدات الإكتشافات الأثرية. لذلك فإن كل الإحتمالات مستقبلا تبقي واردة وقابلة لإعادة النظر....

obeikan.com

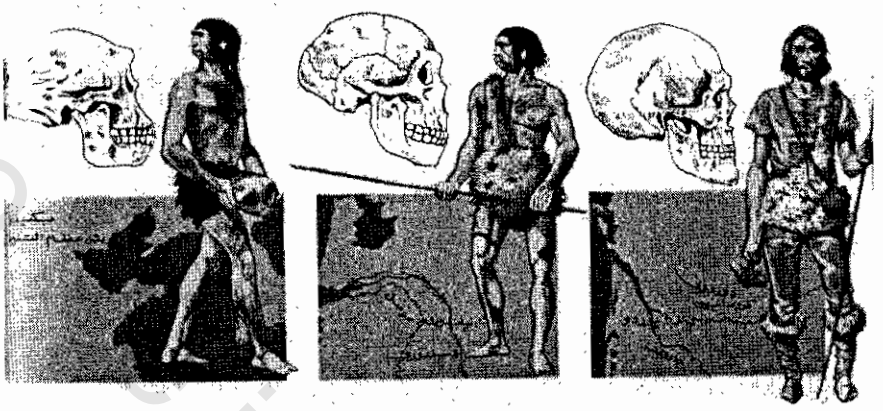

لقد أكد علماء الأجناس حديثا، ملاحظة قصر جبهة الإنسان الأول ٠ وأثبتوا أن متوسط حجم جمجمة سلالات الخلق الأول للإنسان يقل من ٥٠ - ٢٥% من متوسط حجم جمجمة الإنسان المعاصر من بني آدم ٠ وأن جميع سلالات هذا الخلق الأول للإنسان قد إنقرضت وإختفت تدريجيا من علي سطح الأرض بعد حين من الزمان ٠

إن علم وظائف الأعضاء قد بيَّن لنا أن **الجهاز العصبي** في جسم الإنسان المعاصر يتكون من ثلاثة أجزاء :

أ- الجهاز العصبي المركزي :

يتكون من المخ والمخيخ ويستقران داخل الجمجمة، والنخاع الشوكي ويوجد داخل القناة الشوكية في العمود الفقري لحمايتها وذلك لأنهما أكثر الأعضاء رقة ورخاوة علي وجه الإطلاق. ويعتبر هذا الجهاز مركز إصدار الأوامر، وفيه تتم تفاعلات الإحساسات الناتجة من الإثارة، وكذلك ظواهر الفكر والإرادة .

ب- الجهاز العصبي الإرادي الطرفي :

يتضمن الأعصاب الزوجية التي تتصل بالمخ والنخاع الشوكي، وتصل إلي كل أعضاء الجسم. تغادر هذه الأعصاب الجمجمة من الداخل عبر ثقوب

صغيرة، وتمر خلال الأنسجة وتتوزع علي أعضاء الجسم وعضلاته. بعض هذه الأعصاب يحمل الرسائل التي تجعل عضلات الجسم تؤدي عملها. والبعض الآخر يحمل رسائل الحس، في الإتجاه المضاد، مثلا من الجلد والعضلات إلي المخ والنخاع الشوكي، حيث تسجل إحساسات اللمس والضغط والحرارة والبرودة .

ج- الجهاز العصبي الذاتي (اللاإرادي) :

يتكون هذا الجهاز من أعصاب تتحكم في وظائف الجسم التي تعمل ذاتيا أو تلقائيا، مثل حركة الأمعاء حينما تهضم الطعام، والتنفس، وضغط الدم، ودقات القلب (النبض) والبلع .

الأغلفة :

يغلف كل من المخ والمخيخ والنخاع الشوكي في ثلاثة أغلفة :

يسمي الداخلي منها "الأم الحنون" حتي لا تلامس عظام الجمجمة أو العمود الفقري مباشرة. هذا الغلاف رفيع جدا، أبيض ودقيق، ويلتصق بسطح الأنسجة العصبية، والتي يرسل فيها العديد من الأوعية الدموية المغذية للأنسجة العصبية.

أما الغلاف الوسطي فيسمي "الأم العنكبوتية" التي تنفصل عن "الأم الحنون" بمسافة مملوئة بسائل خاص كطبقة حامية حول المخ والنخاع الشوكي .

أما الغلاف الخارجي فهو غشاء بالغ المتانة، ويسمي "الأم الجافية" الذي يلتصق بالعظام .

الأعصاب الحسية :

تحمل هذه الأعصاب رسائل أو إثارات الحس من أعضاء المناطق الحسية بالجسم إلي المخ، أي في اتجاه الجهاز العصبى المركزي. (مثل : الجلد- إحساس اللمس والضغط والحرارة والبرودة. الأنف- الشم. العين- النظر. الأذن- السمعي وهو مكون من جزئين: القوقعي للسمع في الأذن الداخلية،

والدهليزي لنقل المعلومات من القنوات الهلالية بالأذن الداخلية بموضع الرأس وحركتها) .

الأعصاب الحركية :

تحمل الرسائل أو الإثارات في الإتجاه المضاد، أي من المخ إلي مناطق الحركة بأعضاء الجسم، والتي تجعل عضلاتها تؤدي عملها الحركي بعيدا عن الجهاز العصبي المركزي (مثل: العين وحركتها، والفك السفلي للفم، والرقبة، وتحت اللسان) .

الأعصاب المختلطة :

هناك نوع من الأعصاب ليس جديدا، ولكنه يتميز باحتوائه علي ألياف من النوعين السابقين معا، الحسية والحركية، وتسمي بـ "الأعصاب المختلطة". مثل:

العصب التوأمي الثلاثي- ويحتوي علي ألياف حسية من الوجه، وألياف حركية التي تتحكم في عضلات المضغ .

العصب الوجهي- لحركات التعبير في الوجه، وعضلات تحريك الرقبة. أما ألياف الحس فتحمل أحاسيس التذوق من مقدمة اللسان .

العصب اللساني البلعومي- يمد عضلة في الرقبة، ويحمل الأحاسيس من اللسان والبلعوم .

الجهاز العصبي الذاتي (اللاإرادي) :

يتكون هذا الجهاز من الأعصاب التي تتحكم في وظائف بعض أجهزة جسد الإنسان دون إرادته. وهي تحمل الرسائل من وإلي أجزاء الجسم التي تعمل بصورة ذاتية، مثل: إنسان العين، وعضلات الأمعاء، والعصب الحائر (أو الطوّاف أو الرئوى المعدي Vagus).

والعصب الحائر عصب من النوع المختلط (أي الناقل للإثارات الحسية والحركية) وهو يغادر الجمجمة مثل أعصاب الجهاز الإرادي الطرفي، كما أسلفنا، ويمد القلب بحركة خفقان عضلته المنتظم لضخ الدم ليدور في جسم الإنسان. وهو يبدأ قبل عدة شهور من ولادته ويستمر حتي مماته. وكذلك يمد الرئتين، والحنجرة، والأمعاء(أثناء هضم الطعام) بحركاتها، وهذا سر أهمية هذا العصب البالغة .

مخ الإنسان :

هو عضو رخو جدا، بيضاوي الشكل، وتتراوح كتلته بين ١-١،٥ كيلو جرام. وهو يتحكم في جميع الأنشطة الذهنية والبدنية (أي العقلية والحركية). ويتكون المخ من أعداد هائلة من الخلايا والأنسجة والخيوط العصبية التي تمتد إلي النخاع الشوكي .

غطاء المخ (القشرة) :

للمخ غطاء يسمي القشرة، وهو يتعرج بالعديد من الطيات المتداخلة، أي محفور علي هيئة أخاديد عميقة ومتعرجة. وهو يتكون من منطقتين ونوعين من الأنسجة :

المنطقة الأولي، وهي الخارجية وتتكون من مادة رمادية اللون، سميكة نسبيا، ومكونة من ثلاثة طبقات من الخلايا العصبية (الخلية العصبية صغيرة جدا ولا تري بالعين المجردة. وهي متنوعة الأشكال، ولها دائما امتداد دقيق واحد أو أكثر. هذه الإمتدادات مختلفة الطول ومعقدة التركيب، وتسمي الألياف الشبكية، وهي كذلك لا تري بالعين المجردة) :

- إحدي الطبقات تنبع منها حركات العضلات الإرادية المختلفة، مثل: القدم والأصابع، واللسان .

- وهناك طبقة ثانية، تتحول في خلاياها الرسائل العصبية الكهربية الواردة من أعضاء الحس في الجسم، مثل: الجلد والعين والأذن واللسان والأنف والوجه، كما أسلفنا. وبالإضافة إلي ذلك فهي تتعلق بما يسمي "التشخيص التعرفي"، أي القدرة علي التعرف علي الأشياء الصغيرة التي توضع في اليد بدون النظر إليها.
- وهناك طبقة ثالثة، مسئولة عن الرسائل الواردة من أعضاء الحركة اللاإرادية، مثل: القلب والأمعاء والعين والرئة، كما أسلفنا .

يلاحظ أن كل منطقة حركية أو حسية في ناحية من المخ (أوالدماغ) تخدم الناحية المضادة من الجسم (فنصف الدماغ الأيمن يخدم، أو يتحكم في، نصف الجسم الأيسر والعكس بالعكس) .

المنطقة الثانية، وهي الداخلية، بيضاء اللون، وتتكون من عدد هائل من الخلايا العصبية التي تساعد علي ربط خلايا المنطقة الأولي بأعضاء الحس والعضلات في كافة أنحاء جسم الإنسان. وبالإضافة إلي ذلك توجد شبكة معقدة من الألياف لربط مختلف أجزاء القشرة بعضها ببعض .

هذا ومن المعروف أن جميع خلايا جسم الإنسان التي يولد بها، تجدد تلقائيا (بعملية الهدم والبناء) فيما عدا خلايا جهازه العصبي، فالخلية التي تموت منه أثناء حياته لا تجدد أبدا .

لقد أكتشف علماء التشريح البشري حديثا جدا ، أن الإنسان المعاصر يتحكم في كل أجزاء جسمه عن طريق مناطق رئيسية ثلاثة بمخه .

مناطق المخ الرئيسية :

أ) **الجزء الأمامي:**- وهو الأكبر حجما، وتتركز فيه عمليات التلقي من جميع مراكز الحس في الجسم، وعمليات تحليلها وتكاملها والتنسيق بينها. كما تتركز

فيه جميع الأنشطة الذهنية والسلوكيات الذكية. وينقسم بالتالي هذا الجزء إلي أربعة فصوص رئيسية، لكل منها وظائفه الخاصة به :

١- الفص الجبهي (الفلقات- قبل الأمامية) :

يعتبر هذا الفص مركز التحكم في العواطف والمشاعر والذاكرة، وفي حركة معظم أجزاء جسم الإنسان والتنسيق بينها. ويقع فيه مركز التخيّل. ولقد ثبُت علميا ومختبريا أنه يحوي مراكز التفكير والتعقل والتعلّم والتخطيط واتخاذ القرار. ويبدو أن الإنسان وسلوكه يعتمد علي العمل الوظيفي لهذا الفص. وتتركز هذه الصفات في غطاء (أو قشرة) مقدمة هذا الفص، الذي يقع خلف عظام الجبهة تماما في المسافة بين العينين ومنبت شعر الرأس، ويُعرف بـ "**الناصية**" (إنسانا كان أو حيوانا) كما جاء بالقرآن المُعجز :

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾

(هود٥٦)

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾

(العلق١٥-١٦)

٢- الفص الجداري :

يقع خلف الفص الجبهي وبه مراكز كل من التوجيه المكاني، والتمييز بين الأشكال المختلفة، والقدرات الحسابية، والتعبير عن العواطف وفهمها .

منطقة التحكم في الحركة :

إذا نظرنا إلى المخ من أحد جانبيه ، نجد فيه شق أو أخدود عميق في القشرة ، ويمتد هابطاً من قمته إلى أسفل حتى الفص الصدغي ، وإلى الأمام حتى نهاية الفص الأمامي ، ويسمى هذا الأخدود " شق رولاندو " . وتوجد أمام هذا الشق حافة (أو الإفريز – قبل المركزي) بها هذه المنطقة الحركية لهذا الجانب من المخ. فنسيج قشرته يحتوي علي أنسجة الخلايا العصبية التي تتحكم في الحركات الإرادية لعضلات الجانب الآخر للجسم. وذلك لأن الألياف العصبية من القشرة الحركية لهذه الناحية تعبر إلي الناحية الأخري في أثناء امتدادها إلي أسفل من الجمجمة إلي الحبل الشوكي بالعمود الفقري للجسم، كما أسلفنا .

المنطقة الحسية – وتسمي الحافة التي خلف أخدود " شق رولاندو" بـ "**الإفريز – بعد المركزي**". ويتصل هذا الجزء من المخ، الذي يسمي بـ "المنطقة الحسية"، بالأعصاب التي تحمل رسائل من أعضاء الحس، مثل الموجودة في الجلد والعضلات، حيث تسجل إحساسات اللمس والضغط والحرارة والبرودة. وكما هي الحال في المناطق الحركية، فإن كل منطقة حسية تخدم الناحية المضادة من الجسم.**الحواس الخاصة**– خمسة: النظر والسمع والتذوق والشم واللمس. ويتصل كل واحد من أعضاء الحس الخاصة، وهي: العينان والأذنان والأنف ونتؤات التذوّق في الفم والجلد بالمخ عن طريق العصب المخي الخاص بها، فيحمل الرسائل الكهربائية من العضو إلي قشرة الفلقة الخاصة به بالمخ. وهناك يتم إدراك الحس، كما أسلفنا .

٣– الفصان الصدغيان :

يوجد كل منهما أسفل الفص الجداري، وبهما مراكز التحكم في السمع وفي ذاكرتي الأصوات والكلام. إنَّ الكلام والكتابة مهارات معقدة يقوم بها المخ البشري. وهي تعتمد علي السمع والبصر. وتوجد المنطقة السمعية التي يتم بها

إدراك معني الصوت في قشرة الفلقة الصدغية (أو المركز السمعي الكلامي). وبنفس الطريقة فإن الصور البصرية للرسوم تنتقل إلي المنطقة البصرية في قشرة الفلقة المؤخرية .

وكما سبق وأن ذكرنا، يتحكم الجانب الأيمن من المخ في الناحية اليسري من الجسم، والعكس بالعكس. بمعني أن الشخص الذي يستعمل يده اليمني أساسا، توجد المراكز الحسية للكلمات المنطوقة والمكتوبة بمخه علي الناحية اليسري. وهذا يتم عن طريق ألياف عصبية بجزء من الفلقة- قبل الأمامية اليسري، التي يطلق عليها أسم منطقة بروكا (اسم العالم مكتشفها)Broca's area . وعليه يطلق هذا المركز رد الفعل الحركي بإرسال التعليمات المناسبة إلي تلك الأجزاء من القشرة الحركية، التي تتحكم في عضلات الحنجرة واليد اليمني. وتمر نبضات الإثارة التي تنبع من خلايا القشرة الحركية، عبر الأعصاب الحركية لتدفع الحبال الصوتية إلي الحركة أثناء الكلام، ولتجعل أصابع اليد اليمني تتحرك للكتابة .

٤- الفص الخلفي :

يقع في مؤخرة المخ، وفي قاعدته يقع مركز الإبصار . وفوقه منطقةالقراءة والذاكرة البصرية، والمنطقة المصاحبة للرؤية، والتي إذا تعرضت للتلف فإن صاحبها يري، ولكنه لا يستطيع التمييز بين ما يراه. كما أن هذه المنطقة تسيطر علي كافة أنشطة الجسم الحيوية من خلال "الغدة النخامية"، التي تقود أنشطة الهورمونات والجنس والشهية والتألم والإنفعالات المختلفة .

ب) الجزء الأوسط من المخ :

يوجد تحت الجزء الأمامي، ويُعرف بـ "**المخيخ**". وهو يقوم بالتنسيق بين العمليات العضلية المعقدة، مثل : إنتصاب القامة، وحركات الأطراف .

ج) **الجزء الخلفي من المخ :**

يُعرف باسم "**النخاع المستطيل**" أو "**البصلة المخية**". وهو يكون مع المخيخ ما يُعرف بـ "**جذع المخ**"، وبموته يموت الإنسان*. وحالات موت جذع مخ الإنسان هم ليسوا مرضي ولكن في حالة موت اكلينيكي (أو سريري) أي موت متعلق بملازمي الفراش. فهم في حالة "وفاة دماغية". وهي الحالة التي إذا فصلت عن أجهزة التنفس الصناعي، تصبح غير قادرة علي الإستمرار في التنفس، وتموت بعد دقائق لعدم قدرتها علي التنفس وبالتالي علي الحياة، حتي لو كان القلب ينبض أو يتحرك لا إراديا. وجذع المخ كذلك يصل المخ والمخيخ بحبل النخاع الشوكي (الموجود داخل العمود الفقري بظهر الإنسان) ليكونوا معا **الجهاز العصبي المركزي**، كما أسلفنا .

النخاع الشوكي :

يتكون من مادة رخوة بيضاء اللون في الخارج، ورمادية في الداخل. تمتد كتلة المخ إلي الخلف قي جزء "**النخاع المستطيل**" الذي يستمر بعد ذلك في شكل حبل طويل، يسمي **النخاع الشوكي**، داخل قناة يكونها العمود الفقري أو عظام الظهر. ويصبح الحبل أرفع في الجزء الأخير منه .

إنَّ منطقة الفص الجبهي لها أهمية خاصة في الإنسان المعاصر، لأنها تشتبك في عمليات التذكر والتعلم والذكاء والإختيار والتخطيط، فتعطيه القدرة علي إتخاذ القرارات والشعور بالمسئولية، كما أسلفنا٠ وهي التي تميّز مخ البشر، لعدم تواجدها في أمخاخ سلالات الخلق الأول للإنسان٠ كما أنها المسببة لإتساع جبهة الإنسان الحالي من بني آدم، وبالتالي كبر حجم مخه وجمجمته عن أحجام جماجم سلالات الخلق الأول للإنسان٠ من هذا يتبين أن ذكاء سلالات الخلق الأول للإنسان كان **فطريا**، أما ذكاء الإنسان المعاصر فهو **عقلي** .

يلاحظ أنَّ مناطق كثيرة من المخ البشري، حتي عصرنا الحالي، لا تزال لغزا لم يتوصل العلماء بعد إلي حله.... !

---

* المرجع : ٢٧ . وفي جريدة الأهرام : ا.د. حمدي السيد، ص ١٠ (١١ مايو ٢٠٠٧م.). أ.د.فرانك دليمنكو بجامعة هارفرد، بوسطن أمريكا، جريدة اللأهرام (٢٥ مايو ٢٠٠٧).

الرأي الديني :

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ ﴾

(الرحمن ١-٧)

إن كتاب الله الكريم يحتوي علي قدر كبير من العلوم والمعرفة ،لا نهاية له. فهو يتمشي مع كل زمان وعصر، وكل مكان وبيئة، وهو لازم لكل الناس علي إختلاف ألسنتهم وألوانهم ، ومدى علمهم، حتى يتبينوا أن ما جاء به هذا القرآن هو الحق :

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٥٣ ﴾

(فصلت ٥٣)

إن من يقرأ القرآن ويجتهد في فهمه لابد وأن يكون علي قدر من علوم الدين والدنيا . فالقرآن لغة إلهية سامية ينفرد بها عن سائر الكتب السماوية الأخرى . وأحيانا تكرر الأسماء العامة تاركة معناها الدقيق المقصود لفطنة القارئ ، وهذا سر عظمتها وإعجازها .

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩ ﴾

(ص ٢٩)

جاءت كلمة " الإنسان " في القرآن الكريم كاسم عام لكائن حي من كائنات الله علي الأرض بدون تخصيص أو وصف محدد وترك التعريف الدقيق لفطنة القارئ ومن سياق الكلمات، وذلك لكثرة ذكرها (٦٥ مرة)، لهذا أطلقت علي

الجنس الإنساني، وعلي الإنسان الفرد الأول في كل نوع، وعلي النوع أو السلالة (وهي الجماعة من الأحياء التي لها صفات وراثية وعرقية موحدة)، وعلي الإنسان الفرد الحكيم وغير الحكيم .

ولعلم القارئ، هذا الأسلوب في تعميم التسمية بلغة القرآن الكريم لم يطبق فقط علي كلمة "الإنسان"، بل هناك أمثلة أخري مثل كلمة "الأرض" (علي سبيل المثال لا الحصر). فلقد أطلقت علي أرض مصر، وعلي الكرة الأرضية، وكذلك علي أرض كنعان (الأرض المقدسة، فلسطين) وتُترك التعريف الدقيق كذلك لفطنة القارئ ومن سياق الكلمات، كما نري في الثلاث آيات المتتالية الآتية من سورة الأعراف :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

(الأعراف ١٢٧-١٢٩)

أولا – أُطلق إسم "الإنسان" علي الإنسان كجنس في قوله تعالى :

﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾

(نوح ١٤-١٨)

ولقد فسرت هذه الآيات بان الله قد خلق الإنسان أطوارا متدرجة نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحما (وهي ما نفسرها بخطوات بينية لخلق الطور الإنساني، لأنها تتم عن طريق إنقسام الخلايا). علي اعتبار آن كلمة الإنسان هنا تعني الإنسان الفرد المخلوق من سلالة. وفي اعتقادي، أن كلمة الإنسان هنا تعني الإنسان كجنس له أنواع متطورة ، والدليل علي ذلك :

أ) أن المخاطبة هنا بصفة الجمع أي كجنس.

ب) أن الله علي لسان نوح شبه إخراجهم من الأرض مثل النبات كجنس (فقال نباتا ولم يقل نوابتا).

فخلق الإنسان أنواعا علي مراحل متطورة ومتدرجة، أصولها من تراب الأرض ومائها . وأختار النبات في التشبيه (وليس الحيوان) ترفعا وتكريما لجنس الإنسان . فالنبات أحد الكائنات الحية كجنس له أنواع وأشكال وألوان مختلفة . خلق الله النبات أيضا من الأرض وعلي مراحل بالتطور التدريجي: من النوابت البحرية البدائية كالبكتيريا والطحالب التي كانت تنمو علي شواطئ البحار والمستنقعات، إلى نوابت وحشائش وأشجار ونخيل اليابسة. وفي إجمال شّبه الله – سبحانه – نشأة الحياة الإنسانية بنشأة الحياة النباتية وهي كالحياة الحيوانية ، من حيث البداية والتطور إلى النهاية، أي الموت. وبالموت يعيد الله كل شئ حي إلي الأرض مرة ثانية، ثم يخرجه مرة أخري إخراجا مؤكدا .

وتراب الأرض هو علميا خليط معقد من المركبات المعدنية والعضوية. المركبات المعدنية مثل : السيليكا (ثانى أوكسيد السيليكون أو الرمل) وأملاح عناصر الكالسيوم والماغنسيوم والحديد والصوديوم والبوتاسيوم والألومينيوم والكاربون والفوسفور والكبريت والكلور والأوكسيجين والهايدروجين. أما المركبات العضوية فهى تحتوى على البروتينات والدهون والسكريات والنشا والسيليولوز. وإذا أضفنا إلى ما سلف، عدد كبيرمن الأحياء الأخري التى تعيش فى الأرض، مثل: الحشرات والديدان والطحالب والفطريات والبكتيريا، يتضح

لنا أن التربة (أو الأديم) ما هى إلاّ مختبر للكيمياء، دائم العمل فى سبيل منفعة البشر والكائنات الحية الأخرى ، وبه كل ما تحتاجه الخلايا الحية، كما أسلفنا .

وكذلك في قوله تعالي :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ ﴾

(الانفطار٦-٩)

وتستمر السورة في مخاطبة الإنسان بصفة الجمع، أي مخاطبة الإنسان كجنس وليس كفرد ، بأن الله قادر علي خلق وتركيب الإنسان في أكثر من صورة أو نوع ٠

ثانيا – أطلق اسم "الإنسان" أيضا على الكائن (أو الفرد) الأول، أصل كل نوع أو طور ٠ والذي بدأ الله بخلقه من تراب الأرض ومائها ، أي من الطين اليابس بأشكاله من حمإ مسنون وصلصال كالفخار (من غير أب ولا أم) ثم نفخ فيه الروح بعد أن صوره. وأنشأ له، بعد ذلك، سلالة من الأبناء و الأحفاد بالتزاوج. وذلك في قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ﴾

(السجدة٧-٨)

ثالثا – كما أُطلق إسم "الإنسان" علي السلالة الإنسانية المخلوقة من العلاقة الزوجية (بالإخصاب) بين الأب والأم، كما أسلفنا، ووصف الخطوات البينية لخلق الإنسان الفرد في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

(المؤمنون ١٢-١٤)

فبنو الإنسان هنا قد استلوا- أي أخرجوا- من الإنسان الأب وليس من الطين .

رابعا – وأخيرا أطلق اسم "الإنسان" على الإنسان اللبنة في المملكة الإنسانية – أي الفرد الحكيم وغير الحكيم ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(البقرة ٣٠)

ومن تدبر هذه الآية يتضح له أن الله – سبحانه وتعالى – قد خلق جنس الإنسان في أكثر من نوع واحد، أى أنواع بدائية بدأ بها الخلق ، وكانت تنقصها ملكة التعقل والتفكير والذكاء، وبالتالي القدرة علي التعلم. وانعكس هذا علي أسلوب حياتها ومعيشتها. فكان هذا الإنسان يعيث في الأرض فسادا ويرتكب المعاصي ويسفك الدماء، وكان يُصدر أصواتا تشبُّها بالحيوانات، ويستخدم الإشارة باليدين في معاملاته مع الآخرين، كما وصفته الملائكة طبقا لرؤيتهم له، لما خاطبهم الله لاستخراج هذه الرؤية منهم ، وذلك لأن الملائكة لا تعلم إلا ما أعلمت ، ولا تسبق في القول :

﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

(الأنبياء ٢٧)

ولقد عاشت هذه الأطوار المتعاقبة من **الإنسان الأول أو البدائي** لفترة طويلة من الزمان معتمدة فيها على ذكائها الفطري ، وتتحكم فيها غرائزها وشهواتها ، لذلك كانت غبية وجاهلة. ففشلت في صراعها مع الأمراض الفتاكة والوحوش المفترسة وكذلك مع الطبيعة الكونية القاسية، فانقرض كل طور منها واختفي تماما من علي ظهر الأرض مثل الدناصير . وما علِمَت الملائكة أن الأرض لو مُلئت بهم، لا نصرفوا للعبادة تاركين الأرض خرابا بلا زراعة ولا عمارة • وعندئذ جاءهم القرار الإلهي، إني أعلم أن الأرض لا يعمرها إلا إنسان من نوع جديد لا تعلمون عنه شيئا •

لم يسكت القرآن الكريم عما ينم عن هذا الإنسان الأول، مكتفيا بوصف الملائكة له ، ولكنه نوه عنه أيضا في أول آيه من السورة الخاصة به سورة "الإنسان" :

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝ ﴾

(الإنسان ١)

وتفسير هذه الآية العميقة المعني في كتاب " تفسير القرآن الكريم للأستاذ الدكتور: عبد الله شحاتة: ٧٨ – ٦٢١٧ (٢٠٠٠م) " قد أتى على هذا النوع – نوع الإنسان – زمن غير محدود لم يكن موجودا (ويقصد هنا آدم) حتى يعرف ويذكر ٠ وفي كتاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم (الطبعة الثامنة عشرة ١٩٩٥م) : قد مضي علي الإنسان حين من الزمان قبل أن ينفخ فيه الروح لم يكن شيئا يذكر باسمه ولا يعرف ما يراد منه .

وبما أن اليوم عند الله بألف سنة مما نعد علي أرضنا :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ﴾

(السجدة٥)

إذا فالحين من الدهر في سورة الإنسان هو زمن طويل جدا وغير محدود لا يعرف مداه إلا الله سبحانه ، وقدر علميا بمئات آلاف السنين .

ويصبح تفسير هذه الآية : قد مضى علي هذا الإنسان، كجنس بمختلف أنواعه، زمن طويل جدا يقدر بمئات آلاف السنين لم يترك فيها شيئا أو عملا نافعا يخلد إسمه، وكان خلالها يجهل الهدف من خلقه ، ولذلك كان نسيا منسيا .

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾

(مريم٦٧)

من هذا يتضح أن هذا الجنس من الإنسان، كان بدائيا في تفكيره، أو كانت تُسَيِّرَهُ غرائزه، ولذلك لم يُذكر شئ، أو يترك أثر بإسمه، وهذا سر إختفائه وانقراضه ٠

ولما أراد الله – سبحانه وتعالى – أن يشير في بعض آيات كتابه الكريم المعجز إلى نوع أو طور الإنسان الجديد أو **الإنسان الخاتم**، وهو الإنسان العاقل المفكر والقادر علي التعلم، أختصه (لتكريمه) بإسم "**البشر**" وهذا يظهر بوضوح في مقارنة الآيتين التاليتين :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

(الحجر٢٦)

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾

(الحجر٢٨)

هنا نجد تكرارا لم نعتده في القرآن المعجز ٠ فهو ليس بتكرار في سور مختلفة للإعادة وللتأكيد بغرض بلاغي مختلف، أو أساليب خلابة ونغمات تشد الأذن فيها متعة للسامعين ، ولكنه تكرار في آيتين متطابقتين ومتعاقبتين تقريبا ....! والخلاف فقط في كلمتين اثنتين هما :"**الإنسان**" و "**البشر**" ، وبما أن القرآن الكريم كلام الله المنزّل الخالي تماما من الركاكة اللفظية – حاشا لله – إذا فالتكرار هنا متعمدا ومقصودا، ليلفت النظر إلى الفارق بين الكلمتين، حتى لا يختلط الأمر علي القارئ ولو لأقل درجة ٠ فالإنسان – كما سبق وأن ذكرنا،

إسم عام يجوز إطلاقه علي الفرد العاقل وغيرالعاقل. كما أشار سبحانه في سورة السجدة الآية التاسعة :

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(السجدة٩)

ولم يقل سبحانه العقول أو الألباب بدلا من الأفئدة (فتعبير الفؤاد، أي القلب، يشير إلى معانى تعتمد على الغرائز والأحاسيس والعواطف، بالإضافة إلى التعقل والتفكير) وهذا هو الفرق بين الإنسان والبشر(الذي ذُكر بالقرآن الكريم ٣٦ مرة). **فالبشر** هو مخلوق إنساني أيضا، لأنه مخلوق من طين ومن سلالة (كما هو واضح في الآيات الآتية) وفوق ذلك يتميزبقدرة الإتصال الروحى والقلبى بالله خالقه، والتلقى عنه. كما أفرده بالتعقل والتفكير وإمتلاك القدرة علي النطق والتكلّم، وبالتالي التعلّم. هذا بالإضافة إلي إمتلاك الإرادة علي الإختيار بين الطاعة والشكر ، والمعصية والجحود، والذى يكون جزاؤه الثواب والعقاب :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

(الأنبياء٣٥)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾

(الفرقان٥٤)

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

(الروم ٢٠)

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾

(ص ٧١)

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

(الكهف ١١٠)

وبهذا التعريف، العام للإنسان والخاص للبشر، يمكن الإجابة علي تساؤلات علماء الدين والإنسان (الحفريات) والطب والعلوم الطبيعية .

بعد ذلك أنشأ الله النوع الإنساني الجديد العاقل الخاتم، أو **البشر**، والـذي لا تعلم الملائكة عنه شيئا ٠ وكرمه بخلقه من تراب أرض الجنة :

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

(الزمر ٧٤)

جنة آدم هى، على الأرجح، حديقة وافرة الشجر والنخيل والظلال. أما **جنة عدن**، فهى جنة أخرى، كما جاء بالقرآن الكريم: جنة الإقامة، أو جنة المأوى، ودار الخلود فى الآخرة. وهى درجات،[**وخيرها أو وسطها الفردوس**] ويختص فيها كل مؤمن بجنته، كما قال الصادق المصدوق (صلى الله عليه وسلم) .

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

(آل عمران ١٣٣)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾

(الكهف ١٠٧-١٠٨)

﴿ قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾ ﴾ (الفرقان ١٥)

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

(السجدة١٩)

ونفخ الروح فيه بعد أن صوره الله في أحسن صورة ليكون خليفة له في الأرض ، وطلب من الملائكة أن يسجدوا له (الحجر :٢٨- ٢٩) وأسماه "آدم" وعلمه الأسماء كلها، أى المعرفة (بلغتنا الحالية، كما أسلفنا) وكذلك لغة الكلام (وليس الكتابة والقراءة) والله أعلم.... :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

(البقرة٣١)

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾

(الرحمن ١ – ٤)

وقال المصطفي، صلي الله عليه وسلم :

[إن آدم كان نبيا مُكلما كلمه الله قبلا] صدق رسول الله .

إن تعلَّم آدم الأسماء كلها، والبيان والكلام (أي قدرة التعبير شفهيا عما يكنه في نفسه) كان مقصودا ومدبرا بواسطة الله، سبحانه، حين خلقه. وهذا يتبين من تزويد جسمه بالمخ الكامل، وبالجهاز العصبي، وبأجهزة السمع والبصر والنطق

(أى اللسان فى الفم، والحنجرة فى جهاز التنفس) وهي أجهزة دقيقة الحس، ومعقدة التركيب .

يوجد **اللسان** بفم الإنسان، وهو متصل بأرضيته عن طريق جذر له. واللسان، في الشخص السليم، مغطي كله بغشاء مخاطي ممتد علي بقية الفم. وسطحه العلوي يكون علي شكل القطيفة في مظهره، ووردياً غامقاً في لونه. ويتكون اللسان البشري من آلاف الألياف العضلية تتخللها خلايا دهنية وشرايين وأوردة للتغذية بالدم. كما تتخلله أيضا الغدد اللسانية والأعصاب الحركية اللازمة لعضلاته. وعلي سطحه يظهر عدد كبير من الحليمات، بمختلف أنواعها، الحاملة **للبراعم التذوقية** والتي تبعث بمعلوماتها إلي المخ. للسان ثلاث وظائف رئيسية، هي: **التذوق**، ودوره في عملية **هضم الطعام** (وهي مرحلة الهضم الأولي التي تتم بالفم مع اللعاب) وأخيرا دوره في إصدار **الصوت والكلام**، وهي الوظيفة التي تهمنا في هذا المقام. فباتخاذه لمواضع مختلفة في الفم، يغير من شكل الممرات الهوائية التي تمر عبرها الأصوات التي شكلتها **الحبال الصوتية** بالحنجرة، وهي العضو الثاني والتالي الذي يهمنا. ويمكن التعرّف علي **الحنجرة** عن طريق البروز المتواجد في مقدمة العنق (أسفل الذقن)

والمعروف باسم " **تفاحة آدم** ". ويفصل بين تجويفي البلعوم والحنجرة، غشاء متحرك يطلق عليه اسم " **لسان المزمار**". وأثناء التنفس، يَسمح هذا الغشاء للهواء بالمرور بحرية بالفتحة بين البلعوم والحنجرة إلي **القصبة الهوائية**، ثم إلي **الرئتين**. ولكن عند ابتلاع الماء والطعام، يتحرك لسان المزمار ليغلق هذه الفتحة وهذا المسار، وبذلك يمنع الماء والطعام من المرور فى هذا الطريق الخاطئ إلي الرئتين، فيمران إلي **المرئ** (المتواجد خلف القصبة الهوائية) ثم إلي **المعدة**. وتحتوي الحنجرة علي الحبال الصوتية، وعندما يمر الهواء بينهما يحركها فتحْدِث الأصوات التي تصْدُر عند التكلم .

قيل أن الله، سبحانه وتعالي، أنزل علي آدم، عليه السلام، الحروف العربية التي تفرعت عنها كل لغات العالم..... ! والمعروف لدينا أن أقدم أبجدية عُرفت في التاريخ كانت رسوم الكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية) ومنها تفرعت اللغات الأخري حتي يومنا هذا.(راجع شجرة الأبجديات) .

أما لغة كلام الله، سبحانه وتعالي، لآدم، عليه السلام، فعلِمُها عند الله، سبحانه وتعالي .

شجرة الأبجديات التى نبعت من الكتابة المصرية القديمة

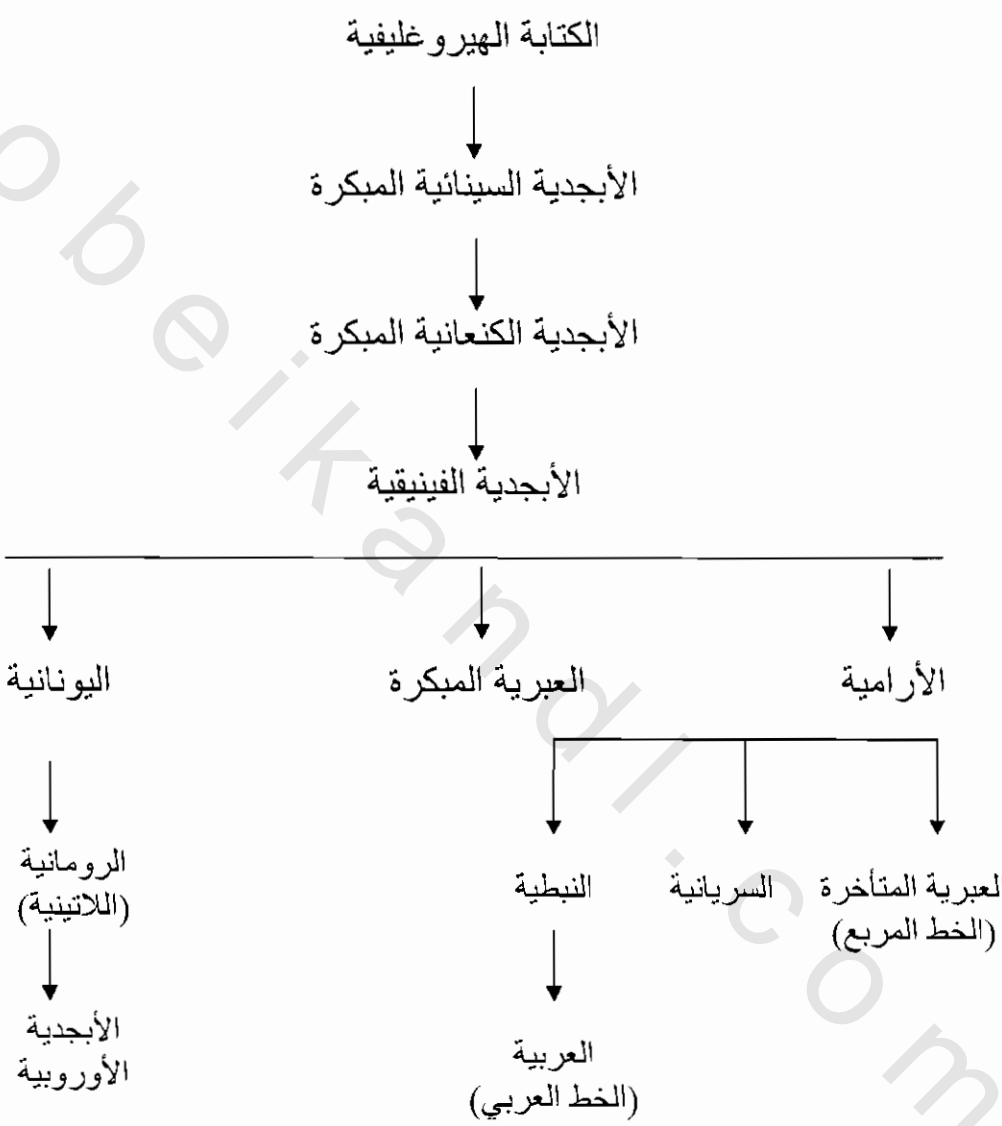

obeikandl.com

ثم أنزل الله آدم وزوجته " **حواء** " إلى الأرض، لكي ينجب من صلبه ومن أصلاب بنيه عن طريق التزاوج، سلالات تملأ الأرض لتزرعها وتعمرها وتتمتع بالمعيشة فيها إلى حين – أي إلى أن ينتهي أجلها أو إلى يوم القيامة :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾

(البقرة٣٦)

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾

(الأعراف ١٧٢)

لقد كان خلق أنواع جنس الإنسان المتعددة قبل آدم، بل وخلق أدم نفسه (وزوجته) من طين ، ثم خلق **المسيح عيسى بن مريم** بعد ذلك، من أم بدون أب، به عنصر مشترك هو النفحة الإلهية٠٠٠٠٠ :

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾

(آل عمران٤٧)

وإن هي إلا الكلمة "**كن**" يقولها المولى – جل وعلا– للشيء الذي يريد نشأته " **فيكون**" وهكذا تتجلى عظمة هذه الحقيقة ،حقيقة خلق أنواع هذا الكائن الإنساني وحقيقة الخلق كله ، فهي تنساب إلي النفس في سهولة ويسر وفي إقناع

ورضاء حتى ليعجب المرء كيف ثار الجدل حول هذا الحدث.....! مع أنه متمشيا مع السنة الإلهيه ، سنة الخلق كله :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾

(آل عمران٥٩)

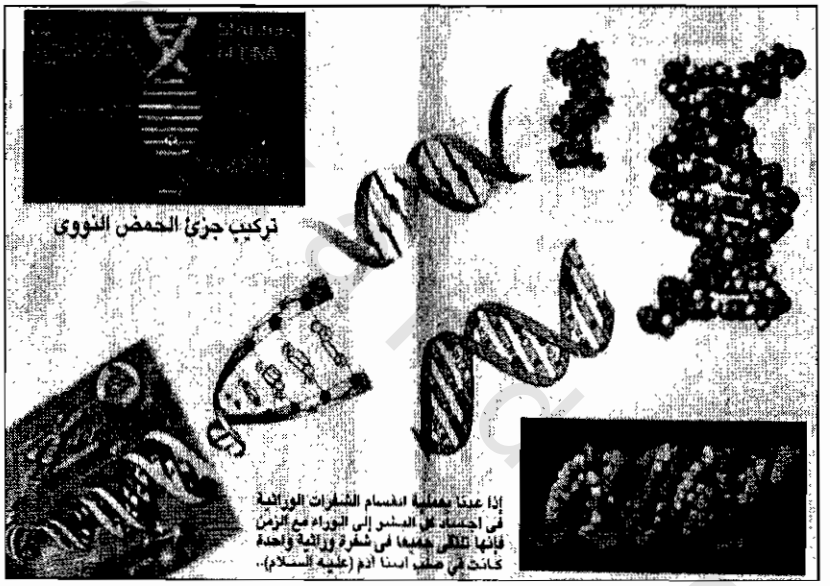

والعلم الحديث (الذي جاء بعد ١٤ قرنا من نزول القرآن الكريم) أكد عن طريق الشفرة الوراثية هذه الحقيقة (أي الخلق الخاص لكل طور من أطوار المخلوقات). فانقسام جزيء الحمض النووي Deoxyribo Nucleic Acid (الذي يرمز له بالحروف DNA والذي يُعتبر خيط الحياة في الجسم) يُشير إلى أنه بالرجوع إلي الماضي بمخزون الشفرات الوراثية عند البشر كلهم، أنها شفرة وراثية واحدة كانت في صُلب شخص واحد هو آدم، وترائب زوجته حواء، عندما خلقه وخلقها الله، خالق كل شيء، سبحانه :

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

(لقمان٢٨)

لقد ثبُت علمياً أنه بمجرد إخصاب بييضة الأنثى (أي خلية التكاثر الأنثوية) بواسطة الحيوان المنوي (خلية التكاثر الذكرية) تبدأ النطفة الأمشاج (أي المختلطة Zygote) في الانقسام، ثم تكون "العلقة"، وتخلُق جميع أعضاء وأجهزة الجنين، كما أسلفنا .

ويكون التعريف العلمي للبشر(أي الطور الخاتم للإنسان) هو: مخلوق من مخلوقات الله، قامته مستقيمة وطويلة، ويمشي علي قدمين، وقادر علي استعمال يديه وأسنانه ولسانه (لمضغ وتذوّق النباتات واللحم). له مخ متنامي كبير وكامل، به مركز للنطق لكي يساعده مع حنجرته وشفتيه علي الكلام، للتعبير عن ما يَكِنُّ في نفسه وما يدور في خلده. وتقوده قوة سماوية هي العقل، أو قوة التعقل (وهي أكبر من قوة الغرائز) لكي تمنحه الإرادة فيتحكم في غرائزه. وكذلك تمنحه ملكة الفكر، لكي يخطط لمستقبل حياته. وأيضا القدرة علي التعلُّم. وممارسة الحس الاجتماعي والإبداعي. والدفاع عن النفس. لذلك حرَّم الله قتله إلا بالحق. وعندما يغيب العقل بالنوم، أو بالتغيُّب عن الوعي، يتحول البشر إلى إنسان غير عاقل، كالحيوان في سلوكه .

رحم الله أمي الحبيبة، فقد كانت تردد دائما في دعائها: اللهم ثبّت العقل والدين .

هذه المفاهيم، التي توصل إليها العلم الحديث (بمؤتمر باريس عام ١٩٨٤م.، ثم بالشفرة الوراثية، كما أسلفنا) حوّلت نظريات داروين (التي تُرجِعُ أصل الإنسان العاقل، أي البشر، أستغفر الله، إلي سلالة القرود..!) إلي نوع من التخيُّل الخرافي .

حديثا أختلف علماء الدين مع علماء الطبيعة (الذي يستند علمهم علي البحث العلمي التجريبي) علي تحديد موضع أو مصدر قوة التعقل والإدراك بجسم

البشر، أي العضو المسئول عن العقل والفهم والتكليف بالمسئولية... هل هو المخ، كما يقول علماء الطبيعة، أم هو القلب، كما يقول علماء الدين.... ؟

ولا يفوتنا في هذا المقام ذكر حديث المصطفى ، صلى الله عليه وسلم : عن النعمان ابن بشير رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله (صلى) يقول (إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد إستبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه . ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسدَ الجسد كله ألا وهي القلب) .

رواه الإمامان البخاري ومسلم

يقول علماء الطبيعة أن المخ برأس الإنسان، كما أسلفنا، هو موضع العقل والفكر....

وعند الرجوع إلي آيات كتاب الله العزيز التالية، يتبين لنا أن الله قد دعي الإنسان إلي استخدام نعمه عليه، كالعقل وملكة الفكر في كل أمور حياته والتخطيط لمستقبلها، وأسلوب معيشته، والتحكم في غرائزه. وبالتالي وجبت عليه المحاسبة إن أخطأ أو أصاب. كما أمره بتدبر آيات القرآن بعقله، وذلك لأن القرآن المعجز هو مصدر العقلانية والإدراك الصحيح وباعث لهما. ولقد جاء ذكر القلب والفؤاد، والعقل واللب والنهي، كأدوات للإحساس والتعقُّل والتفكُّر والتَفقُّه والقدرة علي التعلُّم، وتلقائية الدفاع عن النفس. حتى كذلك السمع، والبصر والطرف، واللمس للرؤية عند مكفوفي البصر (راجع موضوع جلد الإنسان وعمله فيما بعد) .

إن أعضاء الحس الخمسة بجسم إنسان (العينان والأذنان والأنف واللسان والجلد) قد لا تقوم بعملها الحسي إذا غفل قلبه، مع سلامة قدراتها علي

الإحساس. وهذا يدل علي أن أعضاء الحس المُستَقبِلة تقوم بعمل مزدوج أو مركب بين الحس والفهم، أي الإدراك .

فمثلا العين لا تنظر فقط، ولكن يمكنها أن تبصر أو تدرك :

﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

(البقرة٧٥)

﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

(آل عمران٥٢)

هل كلمة "أحس" من الإحساس أم الفهم أم الاثنين معا ...؟

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

(الأنعام٢٥)

أكنة، أي أغطية كثيرة علي قلوبهم وفي آذانهم صمما لكي لا يفهموا القرآن .

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

(الأعراف ١٧٩)

هنا سبب تقديم العين علي الأذن، هو تقدم العين في موقعها المكاني من وجه الإنسان .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (الأعراف ٢٠١)

الإبصار والبصير عملية مركبة من النظر (أي الرؤية) والفهم. ونفس المعني ينصرف إلي السمع والسميع بالأذن .

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

(العنكبوت٤٣)

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾

(الحج٤٦)

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (الأنعام ١١٣)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

(المؤمنون٧٨)

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ (النجم١١)

هنا الإشارة إلي الفؤاد، تعني الإحساس الفهمى، أو الإدراكي للقلب. وسبب تقديم السمع علي البصر، هو تقدم مركز السمع علي مركز البصر في موقعها المكاني من المخ. هذا بالإضافة إلي أفضلية وأهمية إحساس السمع علي إحساس البصر. وكذلك لأسبقيته في التطور العضوي والوظيفي في الجنين قبل ولادته .

(الإسراء : ٣٦،٤٦) (الكهف : ٥٧) (الحج : ٣٢) منها :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء٣٦)

أي ولا تتبع أيها الإنسان الأقوال التي تسمعها ولا تعقلها، والأفعال التي تراها ولا تفهمها أو تعقلها، فإن نِعَم السمع والبصر والقلب يُسأل ويحاسب صاحبها عمَّا فعل بكل منها يوم القيامة .

﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾

(ص٢٩)

﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾

(طه٥٤)

الآيات السابقة تبين أن القلب هو موضع العقل ... . كما أن نصوص عديدة من آيات القرآن الكريم قد وصفت حاسة الفهم والإدراك باعتبارها الحاسة

الأخلاقية التي هي مناط التكليف والمسئولية عند الإنسان. وأنها هي التي تستجيب أولا إلي الدعوة إلي مكارم الأخلاق .

وفي رأينا اجتهاداً أنه، حيث أن مراكز الإحساس وقوة التعقل متوفرة في كلا المخ والقلب•، إذا كلا العضوين تقع عليهما مسئولية مشتركة للإبقاء علي حياة الإنسان الطبيعية، كما خلقه الله سبحانه وتعالي. فإذا توقف المخ عن عمله بالكامل، وفشل علاجه، أصيب الإنسان بما يسمي "السكتة الدماغية"•• (أي توقف

• ذاكرة الخلايا وعقل القلب :

تشير الأبحاث والاكتشافات العلمية الحديثة جدا بأمريكا (أي أثناء طباعة الكتاب) إلى أن للقلب ، بل للخلايا عقلا وذاكرة مستقلة عن تلك الموجودة بالمخ (د. عبدالهادي مصباح – جريدة الأهرام ، مقالات ص١٢ في ٨/٢٦، ٢٠٠٧/٩/٩م). فمثلاً : إن نقل قلب شخص ما "متبرع" إلى جسم شخص آخر "متلقي" تنتقل معه طبائع وسلوكيات صاحب القلب الأصلي إلى الشخص المنقول إليه هذا القلب . وهذا جعل العلماء بالولايات المتحدة يفكرون فيما يُسمى "ذاكرة الخلايا" ، أي أن للخلايا بجسم الإنسان عقل وذاكرة خاصة بها . وهي تعمل عن طريق سلاسل عصبية قصيرة ، وبشكل مستقل عن أعصاب المخ ، وفي نفس الوقت لها اتصال بها . فلقد تبين أن هناك بعض الوظائف الخاصة بالعقل تقوم بها أيضا خلايا أعضاء الجسم المختلفة ، وخاصة الرئيسية منها ، مثل القلب (كما أخبرنا القرآن الكريم) . فلقد ثبت أن علاقة المخ والأعصاب بالقلب هي علاقة ذات اتجاهين ذهابا وإياباً ، وليس كما كان يُعتقد في اتجاه واحد ، أي من المخ إلى القلب فقط . فللقلب جهاز عصبي واحد سُمي "مخ القلب" . وهو في غاية التعقيد ، ويتكون من خلايا وموصلات عصبية وبروتينات تعمل بشكل مستقل عن الأعصاب المخية . ويستطيع "مخ القلب" هذا أن يتعلم ويتذكر ويشعر ويحس ويخاف ويؤمن . تترجم هذه المعلومات على شكل إشارات عصبية ، وترسل من القلب إلى المخ ، أو إلى الجهاز الوجداني في منطقة جذع المخ ، ومنه إلى المراكز العليا بالمخ ، التي تستجيب من خلال الإحساس والتقييم واتخاذ القرارات . وربما كذلك عن طريق أماكن معينة على الشفرة الوراثية الموجودة داخل نواة كل خلية من خلايا أعضاء الجسم المختلفة .

من هذا يتضح أنه إذا كان المخ هو أداة التعقل ، أو وسيلة التعبير عن العقل الذي حبا الله به البشر ، فليس معنى ذلك أن المخ هو العقل ، لأن العقل من خصائص الروح ، والروح من أمر الله سبحانه ، (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) . (الإسراء : ٨٥) .

•• تعتبر السكتة الدماغية من أهم الأمراض العصبية التي تهدد الصحة العامة للإنسان. وهي وأمراض القلب والسرطان، التي تؤدي إلي موت الإنسان البالغ. فجميع دول العالم (باستثناء القليل جدا من الدول منهم مصر) يقولون أن الإنسان إذا مات مخه فقد مات. وطبيا معروف أن موت المخ معناه نهاية حياة الإنسان. (دكتور مجدي يعقوب، جريدة الأهرام في ٢٠٠٧/٤/٢٠ م. ص ١٠).

بعض أجهزته العصبية الإرادية واللاإرادية وخاصة المختلط منهـا، كالعصـب الحائر، كما أسلفنا) مع استمرار تأدية القلب لوظيفته لحين من الزمن... لا يعلم مداه إلا الله، الخالق سبحانه. ويظل فيها الإنسان حيا بلا وعي ولا إدراك جزئي أو كلـي. وعند توقف القلب، أو العضوان (بفارق من الوقت) عن العمل، ينتهي أجل الإنسان، وتصعد روحه إلي بارئها، والأمر أولا وأخيرا بيد الله، سـبحانه وتعالي، عَـلام الغيوب .

وعادة يُعلن موت الإنسان طبيا بتوقف كل من القلب والرئتين عن العمـل. وتوقف حركة العينين. وانخفاض في درجة حرارة الجسم وتصـلبه. وانتشـار الزرقة في الأطراف والشفاه. وعلي كل، فإن الموت الحقيقـي يتحـدد بمـوت الدماغ، الذي من ظواهره الإغماء الكامل .

obeikandl.com

المسيح عيسى ابن مريم آخر ضيوف مصر المكرمين

لقد أستضافت مصر ٢١ من أنبياء الله المكرمين من بنى آدم عبر التاريخ، وهم: شيث بن آدم (لم يذكره القرآن الكريم، وذكرته التوراة) وإدريس، وإبراهيم، ولوط، ويوسف وإخوته الأسباط، ويعقوب، وموسى، وهارون وشعيب، وعيسى عليهم السلام أجمعين .

المسيح بن مريم هو أحد عبدة الله، وآخر أنبياءه من بنى إسرائيل. وهو الرسول قبل الأخير من بني آدم أجمعين (أى من البشر). "**عيسي**" هو الإسم المسمي به المسيح في القرآن الكريم، وكذلك بكُنية "ابن مريم"، كما وصفه بـ"**المبارك**". وذكر في القرآن الكريم ٣٥ مرة، ومعناه " المُنقَذ " (أى الذى خلصه الله وأنقذه)*. أما كلمة الإنجيل (وهي كلمة يونانية) فمعناها البُشري ، أي بشري الخلوص على يد المسيح ... والأناجيل مجموعة أعمال المسيح وأقواله أما لقب "**المسيح**" فمعناه، الممسوح بزيت الزيتون المبارك، فيصير صدِّيقا أو قدِّيسا أو نبيا. كما ذكر القرآن أسم أمه **مريم** بنت عمران (وهو الإسم العَلَم الوحيد لإمرأة به) وخصص لها سورة (رقم ١٩) :

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

(المائدة ٧٥)

* أما كلمة "الإنجيل" (وهى كلمة يونانية) فمعناها البُشْري ، أي بُشرى الخلوص على يد المسيح ....

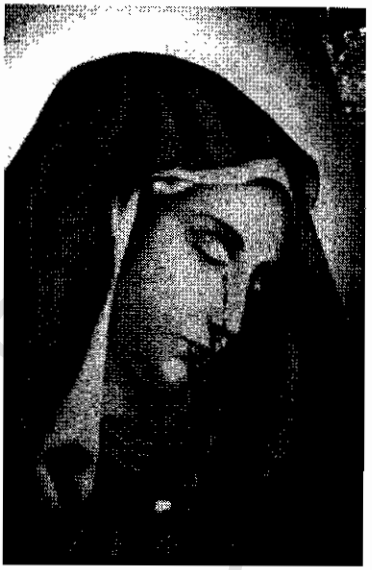

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾

(مريم ٢٩-٣١)

وهو بالعبرية "يشوع" وترجمتها بالعربية "**يسوع**" وتعنى الذى ضاع وهلك (على الصليب) ولكن هذا لم يحدث بل شبه لليهود ونجاه الله، ورفعه اليه (فى عام ٢٩م.) بعد أن توفاه وفاة النوم، أي أنامه (لأن النوم أخو الموت) :

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

(آل عمران ٥٥)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

(الأنعام ٦٠)

وكما قال الرسول، صلي الله عليه وسلم، لما سُئل: أفي الجنة نوم ؟ قال:

[لا، النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها]

أخرجه البيهقي عن جابر(القرطبي : ٤ ، ١٠٦ – ١٠٧).

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

(الزمر ٤٢)

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾

(الدخان ٥١-٥٧)

ومن آيات الله، جل جلاله، سلب الوعي والإدراك من الإنسان عند نومه، وعودتهما إليه عند يقظته، وهو أمر معجز يجريه الخالق سبحانه :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

(الروم٢٣)

والسبب العلمي، هو أن " الغدة الصنوبرية " Pineal gland " المتواجدة تحت مخ الإنسان (وبعض سلالات الحيوان، مثل البقر والقرود) تفرز هورمون "الميلاتونين Melatonin " في الدم، وعليه يدخل الإنسان في حالة النوم بعد وقت قصير، ويسلب منه وعيه وإدراكه، ثم يعودا إليه عند يقظتة دون أن يكون له يد في هذا **الأمر**، أي تلقائيًّا. هذه الغدة الصغيرة (التي في حجم ثمرة الصنوبر تقريبا) لم يُكتشف دورها الهام الذي تقوم به إلاَّ حديثا جدا (عام ١٩٩٥م). ولقد لوحظ أن هذه العملية لكي تتم، يصاحبها الإحساس بانخفاض درجة حرارة الجسم، وضعف القدرة السمعية. كما تعتري الجسم حالة من الخمول والرغبة في النوم. ولقد لوحظ أن الضوء الساطع يعمل علي الإقلال من إفراز هذا الهورمون، وبالتالي عدم الإحساس بالنوم. وللميلاتونين دورة بالجسم ترتبط بإنتاجه وإفرازه. وأعلي إفراز له يكون في الليل والظلام، بينما يقل هذا الإفراز تدريجيا إلي أقل حد عند الظهيرة بالنهار أو في الضوء الساطع .

وقرب قيام الساعة، سوف ينزل عيسي بن مريم إلى الناس بـ**الحق** (الذي جاء به القرآن الكريم). فنزوله إذاً من علاماتها، ولكي يصحح بقوله اليهود الذين شبه لهم .

وأيضا ليعلل سبب ضلال أمته فيه وفى أمه، وشِرْكهم بالله، إذ أن بعضهم عبدوه هو وأمه، واتخذوهما إلهين من دون الله. ثم يموت علي دين خاتم النبيين محمد، صلي الله عليه وسلم، كما مات الرسل والأنبياء من قبله، وكما يموت البشر، ثم يُبعث معهم يوم تقوم القيامة :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾

(النساء ١٥٧-١٥٨)

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

(المائدة١٧-١٨)

كان **عمران** بن ماثان (يواقيم) رجل دين مبجّل من بنى إسرائيل. ولقد كرَّمه الله بأن أفرد لإسم عائلته سورة (رقم ٣) بالقرآن الكريم. وكان يقطن ببلدة الناصرة القريبة من مدينة بيت المقدس. وكانت زوجته " **حنَّة** " من العابدات، ولكنها كانت لا تلد. ودعت الله أن يرزقها بطفل. ونذرت (قبل أن تراه) أن تجعله لخدمة بيت الله. فلما إستجابت لها رحمة الله، ورزقها بأنثى، أسمتها "**مريم**" (وهو إختصار"مارى أما"، ويعنى "الرب أما" أو "أمة الرب") تيمنا بإسم مريم (أو مريام) أخت نبيا الله موسى وهارون، عن الرسول، للمغير بن شعبة :

[أما علمت أنهم كانوا يُسَمّون بأسماء أنبيائهم]

توجهت حنة إلى الله تعالى معتذرة، لأن وليدها أنثى...واستعاذتها وذريتها من الشيطان، واستجاب الله لها. وعن المصطفى، صلي الله عليه وسلم :

[كل مولود من بنى آدم يمسه الشيطان بأصبعه إلاّ مريم بنت عمران وإبنها عيسى عليهما السلام] رواه مسلم .

وبعد موت والدها كفلها عمها نبى الله "**زكريا**" وكان فى نفس الوقت زوج أختها (عن المصطفى من أحاديث الإسراء ، حيث تزوج زكريا أبو **يحيى**، عليهم السلام، من **أشياع**، أخت حنّة زوجة عمران، والدىّ مريم العذراء). إشتهرت مريم بصفاتها الكريمة والشريفة. وكانت الملائكة تزورها لتخبرها بأن الله قد إصطفاها وطهرها، وأيضا تشجعها على الإستمرار فى عبادة الله :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

(آل عمران٤٢-٤٣)

ولقد حدثت معجزة خلق إلهية لمولود ذكر من البشر بدون أب...عن طريق هذه الفتاة. وهى تعتبر معجزة الخلق البشر الثانية فى تاريخ البشرية، بعد أن خلق الله آدم من تراب (أى بدون أب وأم). ويروى القرآن الكريم قصتها وكذلك الإنجيل (آل عمران: ٤٤-٤٨، ٥٥-٥٩ . إنجيل لوقا: ٢٦-٢٨) .

لما بلغت مريم سن النساء، أرسل الله لها ملاكا "**الروح الأمين جبريل**" فى صورة فتى ليهب لها، وهى محتفظة بعذريتها، غلاما زكيا طاهرا. وهوّن عليها الخبر بقدرة الله على خلق ما يشاء (مريم: ١٦-٢٦). وحملت مريم، وكان حملها حملا طبيعيًا بالنسبة لمدة الولادة وأطوارها. وكان غذاؤها الرئيسى البلح

الرُطب والماء (وللعلم، فقد ثبت علميا، أن الرطب يحتوى على العناصر الغذائية الرئيسية فى صورة مركزة وسهلة الهضم، وأنه بذلك مناسب للسيدة النفساء) :

﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ ﴾

(مريم٢٥-٢٦)

فكان الله لطيف بمريم خاصة٠٠٠ وبعباده عامة ودائما٠٠٠٠فأى لطف وإعجاز علمي هذا٠٠٠! وأخبرها الملاك بأن الطفل "**المسيح عيسى**" سوف يكلم الناس وهو وليد كلاما يقوله الكبار. وأن الله سيعلمه الحكمة والتوراة والإنجيل عن طريق الوحى. وأنه سيكون معجزة للناس، ونبيا كريما مؤيدا بالمعجزات حتى يبرهن قدرة الله سبحانه. ولما إتهمها قومها بالزنا، رد عليهم الوليد عيسى رداً حاسما لتبرأة أمه، وبيّن لهم بأنه سيكون من أهل العلم والكتاب (الإنجيل) وأن الله سيجعله نبيا، وأوصاه بالصلاة والزكاة طوال حياته، كما أسلفنا (مريم : ٢٩-٣١) .

ولد "المسيح عيسى" (كما جاء أسمه فى القرآن) أو" المسيح يسوع" (فى الإنجيل) كما أسلفنا، فى **قرية** "**داود**" (بيت لحم حاليا القريبة من القدس) بـ **اليهودية** (أى فلسطين حالياً) ليلة الإثنين ٢٤/ديسمبر عند مسيحيى الغرب ، و٧/ يناير عند مسيحيى الشرق، عام ٤ ق.م. كما يعتقد الكاثوليك والبروتستانت وعند الأرثوزوكس ، فى عهد حاكم الولاية الروماني "**هيرودس**" بـ" **أورشليم**"، والإمبراطورالرومانى " **أوغسطس**" بـ " **روما** ". وكان يوسف بن يعقوب وشهرته **يوسف النجار**(لأنه كان يتكسب من عمله في النجارة) شاب تقى ورع، فهو من نسل "**داود**" وسبط يهوذا (إنجيل لوقا- الإصحاح الأول: ٢٧) يرافق مريم خطيبته (وقيل إبنة عمته) وقد ناهزت الثالثة عشر. وقيل أنه أُمِرَ فى منامه

بإمساكها لأنها بريئة من الدنس (عن إنجيل متى، الإصحاح الأول:٢٠). فصدَّق منامه لأنه كان متأكدا من أنها طُبعت على الصدق، أى كانت بحق صديقة (كما أسلفنا، المائدة: ٧٥) .

قيل أن ثلاثة حكماء من مجوس بلاد فارس كانوا يراقبون النجوم، فبدا لهم نجم شديد التألق فوق اليهودية. فشدوا الرحال غربا إليها ، حاملين الهدايا من الذهب والفضة الى سلطان اليهود المنتظر، حسب رؤيتهم. وهناك عند الحاكم بـ"**أورشليم**" (وتعني مدينة السلام) سألوا عن مولود حديث، مُقمط ومضجع فى مزْوَد (أى وعاء الزاد)، سيكون سلطانا على جميع اليهود. إرتاع لطالعهم الحاكم الرومانى، وأمرهم بالذهاب والبحث عنه والعودة ليعلموه به. ولما عثروا على الطفل سجدوا له وقدموا له هداياهم. وغادروا فلسطين رأساً خوفاً على الطفل من بطش الحاكم. الذى، لما علِم بهذا، ثار وأمر بقتل كل مولود حديث ذكر فى **بيت لحم** . ويقال أن هناك حالياً مغارة بكنيسة قديمة تضم الآف من جماجم الأطفال الذين قتلهم رجال هيرودس (عن إنجيلى متى وبرنابا). ولهذا أُمر يوسف النجار فى منامه، بأن يلجأ بالطفل وأمه إلى بلد آخر هرباً من بطش الرومان :

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

(المؤمنون ٥٠)

ولقد إختلف المفسرون على هذا البلد.....؟ ونحن مع من زكى مصر(وخاصة صعيدها المرتفع، ولذلك سُمِيَ بمصر العليا) أولا: كمأوى آمن لبعدها جنوبا عن أورشليم، مقر الحاكم الرومانى. وثانيا : للآثار التى وُجدت بمصر، والتى تشهد بالزيارة المقدسة . هذا فضلاً عن شهرة المصريين بكرم الضيافة للزائر الغريب، وتفضيله على أنفسهم ومساعدتهم له. ولذلك عُرفت

مصر بأرض اللجوء والسلام والمحبة لمن يدخلها الى يومنا هذا. وكما قال يوسف بن يعقوب لابويه عليهم السلام :

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

(يوسف٩٩)

فمصر فعلاً مُلتقى الأديان السماوية ووحدتها .

نفذ يوسف النجار رؤيته فوراً مصطحباً الطفل، إبن السنتين، وأمه ودايتها سالومى. وسافر بهم ليلا على حمار الى مصر عبر صحراء سيناء صيفاً، فوصلوا بلدة "**الفرما**" فى أول يونية عام ٢ق.م. قبل الميلاد حيث رحّب أهلها بهم وأطعموهم. وأقاموا بمصر ثلاث سنوات ونصف.(وقيل ٥ أو ١٢ سنة) متجولين بين ربوع الدلتا والصعيد. ولقد تلمسوا الدروب الآمنة هرباً من أعين الرومان ، وذلك بفضل إلتفاف المصريين حولهم ، وتضليل عساكر الرومان عنهم. ولما مات الحاكم هيرودس، عادوا الى فلسطين سالمين معززين ومكرّمين

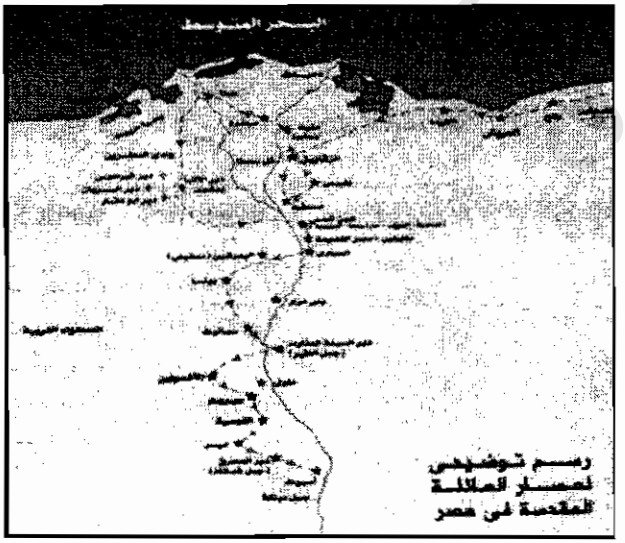

ولقد زارت العائلة المقدسة بمصر عدداً من الآماكن وصل الى العشرين على الآقل. سبعة فى الدلتا، وخمسة بالقاهرة، وثمانية فى مصر العليا. بدأت الرحلة ببلدة " **تل بسطا**" (قرب الزقازيق) بشرق الدلتا، ثم جنوبا إلى "**المحمة**" (مسطرد حاليا) شمال عين شمس، لتضليل الرومان، ثم شمالا بشرق إلى "**بلبيس**" للراحة بعض الوقت. ثم شمالا بغرب مرورا ببسطا مرة ثانية. وبعدها، وفى نفس الإتجاه ، عبرت العائلة نهر النيل (فرع دمياط) إلى "**دكادوس**" (قريةعلى فرع دمياط شمال ميت غمر) ثم إلي "**سمنود**" بوسط الدلتا، حيث عاشت العائلة لبعض الوقت. وهناك وضع المسيح قدمه على حجر فظهر فيه أثره، فسمى هذا المكان "كعب يسوع". ثم أسرعت العائلة ليلا فى إتجاه الشمال الغربى، هربا من عيون أتباع الوالى بواسطة الأهالى، إلى "**سخا**" جنوب بحيرة البرلس. ثم عبرت النيل "فرع رشيد" إلى الضفة الغربية، وأسرعت جنوبا فى الصحراء الغربية طلبا للنجاة حتى "**وادى النطرون**". وهناك باركت العذراء المنطقة، حيث صارت فيما بعد تضم العديد من الأديرة المسيحية (مثل: السريان والأنبا بيشوى والبراموس وأبو مقار وغيرها) وعاش بها العديد من الرهبان والنُسَّاك. ثم واصلت العائلة المقدّسة السير جنوبا إلى ضاحية "**المعادى**" بجنوب القاهرة (حيث أُقيمت هناك، فيما بعد، كنيسة العذراء المقدسة). ومن المعادى بدأت رحلة الصعيد، فعبرت نهر النيل إلى الضفة الغربية وإتجهت جنوبا إلى "**منف**" ثم "**بهنسا**" (حيث بُنِىَ هناك، فيما بعد،ديرالجرنوس) ثم إلي "**سمالوط**"، و"**المنيا**" (حيث جبل الطير، والذي بني علي قمته، فيما بعد، دير العذراء أو الكف) ثم إلي "**الآشمونيين**" حيث استراحت العائلة المقدسة بضعة أيام .

ومن الآشمونيين جنوبا إلى "**ديروط**"، و"**القوصية**" حتى جبل فسقام " **بدرنكة أو ديورونكا**" بجبل أسيوط الغربى، وكان الجو قد إشتدت حرارته لحلول شهر أغسطس بفصل الصيف. وهناك استقبلها الأهالى بترحاب كبير فباركهم المسيح، وأقامت العائلة المقدسة فى بيت من الطوب اللبن. وطاب لها العيش فى هذه البلدة النائية والأخيرة التى وصلت إليها فى صعيد مصر. ولقد شيد هناك

دير المحرق، أوالعذراء مريم (جنوب كهوف أسطبل عنتر وأسيوط) وبه كان أول مذبح. ولقد ثبت (فيما بعد) أنه يتوسط أرض مصر من جميع الأتجاهات. وتميزت كنيسته عن بقية كنائس مصر، بل والعالم أجمع، بأنها الوحيدة التى دشّنها وباركها المسيح بنفسه .

مات " هيرودس" حاكم الولاية، قبل أن تصل أيد جنوده الرومان إلي المسيح. مات بعد أن قتلوا فى بحثهم عن الطفل يسوع الآلاف من الأطفال دون سن السنتين. وخلفه إبنه "**أرخيلاوس**". بعد ذلك هدأت الأوضاع وخفت شدة البحث، وكان والي مصر في ذلك الحين يدعي " **أوكتافيوس**". حينئذٍ أمكن للعائلة المقدسة أن تعود إلى موطنها بفلسطين، بناء على ما أوحِيَ إلى يوسف النجار، وكان قد مضى على إستقرارها بصعيد مصر ستة أشهر وخمسة أيام .

وفى رحلة العودة نزلت العائلة المقدسة بحى **مصر القديمة بالقاهرة**، حيث يوجد حصن "بابليون" معقل الرومان، والذى كان يخرج منه الجنود للبحث عن المسيح يسوع. وهناك لجأت العائلة إلى مغارة للإختباء فى حارة زويلة (بالقرب من الموسكى حاليا). ولقد بُنيت هناك فيما بعد ، كنيسة "أبى سرجة" الحالية فوق هذه المغارة. ثم واصلت العائلة السير شمالا إلى بلدة "**عين شمس**" (**أون** بالمصرية القديمة، أو **هليوبوليس** بالإغريقية). وفى **حى الزيتون** توقفت العائلة للراحة، وفى هذا المكان أقيمت، فيما بعد، كنيسة مريم (أو الزيتون حاليا). وقى **حى المطرية** إستراحت العائلة تحت شجرة البلسم وهى من الأشجار المعمرة، ولاتزال قائمة حتى يومنا هذا. وأطلق عليها إسم شجرة مريم أو العذراء المباركة. وكان بجوارها عين ماء إغتسلوا منها فصارت مباركة أيضا. وبُنى بجوارها كنيسة مريم العذراء، وأصبح المكان أحد المزارات للمسيحيين حتى الآن .

ومن المطرية سارت العائلة شمالا إلى "مسطرد"، ثم إلى "**بلبيس**" عائدة إلى **أرض اليهودية بفلسطين**. من هذا يتضح أن العائلة المقدسة قد إنتقلت إلى كل

أنحاء مصر منذ الفين سنة، لتبارك كل أرضها وشعبها. ومن هنا إحتضنت مصر معظم أنبياء الله (وهم ٢١، كما سبق أن ذكرنا) رمزا لوحدة الأديان على مر الزمان. وعرفانا بفضل مصر (بعد الله سبحانه) فى حماية المسيح يسوع، بارك الله فعلا مصر وشعبها "**مبارك شعب مصر**"(أشعياء: ١٩-٢٥). وأكد الكتاب المقدس أبدية هذه المباركة الربانية (رومية: ١١-٢٩) .

بعد عودة المسيح إلي بلده، أظهر الله عليه المعجزات والكرامات. وكان الله قد ألقي في قلب يوسف النجار محبة عيسي بن مريم، وأوحي إليه أن يتكفل به ويلازمه حارسا وراعيا لطفولته وصباه. لذلك تربي عيسي تربية صحيحة أساسها أصول العلم والدين. ولما قارب عيسي بلوغ سن ٢٩، كان يوسف النجار قد مات، وعيسي اشتد عوده، وسمت روحه إلي درجة النبوة، وأذن الله أن يبعثه برسالته. في ذلك الحين ظهر "**يوحنا المعمدان**" ("**يحيي**" بن زكريا، عليهما السلام) وقام بتعميد المسيح. بعد ذلك علَمَ المسيح بمقتل يوحنا وكذلك أبيه زكريا (عليهما السلام) فحزن عليهما حزنا شديدا. ولما ناهز عيسي الثلاثين، صام ٤٠ يوما قبل نزول الروح القدس، ليعلم الله عيسي **التوراة**، وينزل عليه **الإنجيل** (كلمة " إنجيل" تعني " البشارة أو الخبر الحسن" ، كما أسلفنا) عن طريق الوحي. ثم بعثه رسولا ليدعو إلي السلام، وحب الله، والمحبة والإخاء والتسامح والتواضع بين الناس جميعا، أي من وثنيين وإسرائيليِّين. ويحض علي نبذ عبادة الأصنام، وعلي عبادة وطاعة رب السماوات والأرض. وأنه يبشر بدين جديد، هو **الدين المسيحي**. وأنه مصدقا بالتوراة التي نزلت من قبله. وكذلك بَشّرَهم باقتراب "ملكوت السماوات" (أي الشريعة الإلهية الجديدة) وبمجيء خاتم النبيين "**أحمد**" (**الفارقليط** باليونانية) صلي الله عليه وسلم. ولقد جاء هذا بالقرآن الكريم:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟

إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

(المائدة ٧٢-٧٣)

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾

(الصف ٦)

كان عصر عيسى مهتما بالعلم والطب ، لذلك أمدّه الله بروح القدس (سيدنا جبريل) ليأتى بمعجزات علمية لا نظير لها فى السابق ولا فى اللاحق، وذلك لإقناع اليهود بنبوته ورسالته إليهم : فطريقة مولده كانت معجزة علمية. وكذلك كلامه للناس فى مهده معجزة أخرى .

هذا فضلا عن تعليمه العلم والتوراة والإنجيل، وإحياء الموتى (كما حدث فى مدينة بلبيس بمصر، فأحيا إبن أرملة بعد موته) وخلقه الطير من الطين بعد تشكيله . وشفائه للمولود الأعمى. وإعادة السمع والكلام لعروس مصرية صماء وخرساء عندما إحتضنته. وشفائه للأبرص والمجزوم. وإنزاله مائدة من السماء إستجابة لطلب الحواريين :

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ

وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

(آل عمران٤٨-٤٩)

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

(المائدة ١١١-١١٥)

(الحواريون هم أصفياء وتلاميذ المسيح عيسى بن مريم بالإنجيل، وأنصاره إلى الله بالقرآن. عددهم ١٢، وأسماؤهم جميعا معروفة. وكانوا أول من بادروا بالإيمان بالله وبرسوله عيسى. والتفوا حوله وناصروه فى الدعوة إلى الحق وإلى الصراط المستقيم) :

﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

(آل عمران٥٢-٥٣)

هذا بالإضافة إلى إكتشاف المسيح **للآبار والعيون** لتوفير المياه العذبة المباركة لعائلته وللمصريين، مثل: **بئر الكهف** الذى إحتمت به العائلة بمسطرد ، **وبئر تل بسطا** وذلك للإعاشة وأيضاً للعلاج لمن إعتقد فيها. وآبار حارة فى زويلة ومسطرد، التى باركها السيد المسيح . وهذا النوع من الآبار غالباً ما تبنى حولها كنائس. هذا ولقد إستخدمت هذة المياه الجوفية المباركة كمقياس لمياه نهر النيل. فإذا وصل عمقها الى ٢٠ ذراعاً ، كان هذا دليل على توفرالمياه بمصر. أما إذا قل الى ١٦ ذراعاً، فهو مؤشر لحدوث قحط .

كذلك **الأشجار**، فقد لاقت بعضها إهتمام العائلة المقدسة، مثل: شجرة البلسم المعمرة بحى المطرية، والتى إستراحت العائلة تحتها، وهى لاتزال قائمة حتى الآن، وأُطلق عليها إسم **شجرة العذراء المباركة. وشجرة مريم بديروط** (عمرها حوالى٢٠٠٠سنة) فقد أظلت العائلة المقدسة .

لقد تعرض عيسي في حياته لإضطهاد الرومان الوثنيين واليهود. لكن كثير من الناس سارع لإعتناق الدين الجديد ، ونبذوا عبادة الأصنام. وأخذت دعوة المسيح وتعاليمه تنتشر داخل فلسطين، ثم خارجها (وخاصة في مصر وعاصمتها الإسكندرية) علي يد رُسُلٍ أخلصوا للعقيدة الجديدة (وهم الحواريون). كانت رسالة عيسي إلي بني إسرائيل، هي آخر رسالة يبعثها الله لهم بعد هذا العدد الكبير من رسله وأنبيائه. وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي أن هذا الشعب كان جاحدا وناكرا للخير، وضالا بدرجة كبيرة. ودخلت في

مجتمعه انحرافات وخرافات وأباطيل كبيرة جدا. ولذلك لم تكن رسالة المسيح إلي قومه من اليهود رسالة إلي التوحيد، لأنهم سبق وأن سمعوا به عن موسي، عليه السلام، وخالفوه وابتعدوا عنه، بل وخرجوا عليه، وحرّفوا وتلاعبوا بنصوص التوراة. ولكن كانت دعوة عيسي تُكمِّل ما جاء به الذين سبقوه من أنبياء بني إسرائيل، بل ومَن سبقوهم كذلك حتى نبي الله إبراهيم. وتُعلمهم ما أُنزل عليه من أحكام تشريعية جديدة. كما أعلن المسيح على بني إسرائيل، أنه مُصدِّق لتوراة موسي ويؤمن بما جاء بها، وحثهم علي إتباعها (كما أسلفنا). وأحل لهم بعض ما حُرِّمَ عليهم فيها، بسبب بغيهم وعدوانهم، والذي كان عقوبة لبني إسرائيل ذلك الزمن. مما أدى إلي انقسام الذين حوله من بني إسرائيل بين مصدق ومكذب له. فمن قالوا منهم بأنه ابن زنا واستمروا علي كفرهم، وقابلهم آخرون في الكفر قائلين بأنه الله ...!، وغيرهم بأنه ابن الله...!، ولقد توعدهم الله بقوله :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

(البقرة٨٧)

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

(آل عمران٥٠-٥١)

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾

(النساء ١٥٦)

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

(المائدة ٤٦)

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾

(الزخرف ٦٥)

وحين سُئِل المسيح عن أعظم الوصايا في توراة موسي، قال : هي **[الرب إلهنا رب واحد]**، ثم قال : **[لا إله إلا الله]** (عن الأناجيل). أما الوصية الثانية فهي : **[أن تحب الرب إلهك، وتحب قريبك وجارك كنفسك. فلو أحسن كل جار إلي جاره لكانت الحسني في الناس أجمعين]** .

كان موت المسيح بصلبه، فتنة كبري لمن شُبه لهم وقوع الصلب علي ذاته من مبغضوه وطالبو دمه وصلبه من اليهود، ووشوا به إلي حكام ذلك الزمان. فمبغضوه فرحوا وتباهوا بقتله، كما أسلفنا (النساء : ١٥٧ ، ١٥٨). هذه الخصلة ليست بجديدة علي بني إسرائيل، فكم قتلوا من أنبياء الله في السابق، ثم استمرت جرائمهم بقتل زكريا وابنه يحيى، عليهما السلام (كما أسلفنا) .

أما محبو المسيح وأنصاره ومعاونيه من الصالحين، فقد كان هذا الأمر محنة لهم. والحقيقة أن الله بقدرته، سبحانه وتعالي، رفع المسيح عيسي (وكان

يناهز الثلاث والثلاثين، أي في عام ٢٩ م.) بعد أن توفاه وفاة النوم، ثم تركه في أيدي الملائكة وهو نائم، وقد تحول، بقدرة الله، إلي هالة من نور مثلهم. ثم رفعوه معهم إلي السماء (للعلم، نور الكون الهادئ اللطيف هو نور الله. أما ضوء الشمس فهو ذهبي اللون، وساخن، وسرعتة ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية، كما أسلفنا) ولا تراهم أعين الناس لأنهم فوق القدرة البشرية للإبصار....! (أي خارج المجال البصري المحدود لعين الإنسان) :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾

(الأحزاب ٩)

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

(التوبة ٢٦)

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

(التوبة ٤٠)

وهكذا، غاب عيسي عن أعين الناس وطالبيه، الذين قبضوا علي الحواري " يهوذا " مكان عيسي وصلبوه، ثم قتلوه .

يقول إنجيل متي : أن الله أرسل من يُخبر الحواريون (بعد محاولة القبض علي عيسي في "أورشليم"، لصلبه ثم قتله ودفنه) بأنه قام من الأموات، أي من قبره، وأنه سبقهم إلي الجليل، وهناك سيرونه. وأن الأحد عشر حواري ذهبوا إليه في الجليل (أي بدون "**يهوذا**" **الأسكربوطى**، وتعني القروي، فهو الثاني عشر والشبيه لعيسي، والذي صُلب وقُتل بدلا منه. وكان يهوذا حواريا منافقا ضعيف الإيمان...، عن إنجيل مرقص). وأن بعضهم كان في شك، حتى بعد أن رأوه، مما يدل علي أن معجزة التشبيه سرت عليهم أيضا. وكان لابد أن يروا هذه المعجزة بعد أن وعدهم الله، ليكونوا شهداء علي إعجازه في تخليص عيسي. ومن هنا جاء اسمه الذي ذُكر في القرآن الكريم "عيسي" أي المُنقذ، كما أسلفنا .

انتقلت المسيحية إلي مصر، بعد حوالي ٦٠ سنة فقط ، علي يد **القديس** "**مرقص**" (أحد الحواريون) وكتب فيها **إنجيله** الذي يعد من أبلغ الأناجيل أسلوبا وأكثرها حكمة. كما ذهب القديس أيضا، إلي روما وتنقل بين ربوع أوروبا. ولما مات مرقص الإنجيلي دفن في مصر. أقبل المصريون علي إعتناق المسيحية، لأنهم وجدوا فيها إشباعا لنفوسهم المتدينة، وإحياءً لعقائدهم القديمة (فالمسيحية ماهي إلاّ إمتدادا وتطويرا لليهودية، من الأديان السماوية. وهي تتمشي أيضا معها ومع ما نادي به فرعون مصر "**إخناتون**"، من قبل نزول اليهودية، بالنسبة لشريعة التوحيد) وأهمها إيمانهم بالبعث بعد الموت، والحساب والثواب والعقاب ودار الآخرة . كما وجدوا أن في إعتناقها تعبير عن رفضهم لإحتلال الرومان الوثنيون لبلدهم .

إرتبط مسيحيو مصر بكنيسة الإسكندرية ، وانتعشت تعاليم القديس مرقص. وتأسست في الإسكندرية أول مدرسة للدراسات الدينية المسيحية، وتتلمذ فيها العديد من العلماء والفلاسفة من مختلف بلدان الإمبراطورية الرومانية، مما أثار الأباطرة الرومان المؤلهين فرضا . فأعلنوا الحرب علي المسيحيين، وخاصة المصريين منهم، لسحقهم بالذبح والحرق. وكان إلقاء العديد منهم إلي الأسود والحيوانات المفترسة الأخرى، نوعا من أنواع تسليتهم.

وحرقوا كتبهم وهدموا كنائسهم. ولكن المسيحيين صبروا وتحملوا حتى أعترف **الإمبراطور "قسطنطين"** (في عهده، عام ٣٢٤ -٣٣٧م.) بالمسيحية، والتي أصبحت بعد ذلك دينا رسميا للدولة الرومانية في عهد **الإمبراطور"ثيودوسيوس"** (عام ٣٧٩- ٣٩٥ م.) وحرَّم الوثنية تحريما قاطعا في الإمبراطورية .

نشأ **نظام الرهبنة** في الإسكندرية ومصر لأول مرة في العالم، وكان ذلك في عام ٣٠١ م.، ومنها انتقل تدريجيا إلي العالم المسيحي :

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

(الحديد ٢٧)

ذكرنا أن انتشار المسيحية في مصر صاحبه ظهور **الرهبانية (أو الديرية)** لأول مرة، والتي كانت أعظم هدية قدمتها مصر، وخاصة الإسكندرية (تدريجيا بعد ذلك) للمسيحية في معظم قارات العالم : آسيا، وأوروبا، وإفريقيا، وبلدانها (أي في فلسطين والشام والأنضول وآسيا الوسطي، وبيزنطة وروما وفرنسا، وإنجلترا وأيرلندا،وليبيا وبرقة والحبشة). والرهبانية هي اعتزال الإنسان عن أمور الدنيا والحياة اليومية بمغرياتها ومشاغلها، والتفرغ للصلاة والعبادة في زهد وتقشف، بعيدا عن شهوات الجسد المادية والجنسية، وسعيا لإرتقاء وكمال الروح. إن جو مصر المعتدل، وأرضها التي تضم صحاري واسعة، تصلح لأن تكون مأوي هادئ وناء عن المدن والناس، قد ساعدت الرهبان والراهبات علي التبتل (أي عدم الزواج) إلي جانب التدريب الروحي للتغلب علي غواية الشيطان.

إن لفظ "**راهب**" باللغة العربية، هو "**موناخوس**" بالقبطية. وكذلك الحال لكلمة "**متوحَد**" (من التوحيد، أي المعتزل لأمور الدنيا) فهي "**أنكورايت**". وقد نقلتهما اللغات الحديثة الأخرى كما هما عن القبطية .

للرهبنة نظامان :

النظام الأول- يعتمد في أساسه علي **الإنفرادية أو التوحيد**، بحيث يقوم الراهب (أو الراهبة) بتدبير حياته ومعيشته وعمله دون معونة من أحد. وقد يعيش في مكان ثابت، أو يهيم في الأرض لا يري وجهه أحد.... وكان **الأنبا "أنطون"** (الذي لقب بـ **كوكب البرية**) من أوائل المتوحدين بمصر. وهو من بلدة "قمن العروس"، مركز الواسطي بالصعيد (مواليد عام ٢٥١ م.) وكان من أسرة غنية، واعتزل في جبل القلزم (السويس حاليا) بوادي عربة، قريبا من بحر القلزم (الأحمر حاليا). وتوفي عام ٣٥٦ م..

النظام الثاني- جماعى أو في جماعة، ويطلق عليه **نظام الشركة**. وهو يتم بالإقامة في دير، محاط بسور عال، يعيش بداخله عدد من الرهبان (أو الراهبات) كلا في "قلايته" (أي صومعته الخاصة به). ويعتمد هذا النظام علي العمل اليدوي، مثل: استصلاح الأرض للزراعة (بقصد إرهاق الجسد، وإذلال الغرائز، لإعلاء شأن الروح) والكتابة والتأليف (وخاصة في الأدب والعلوم الدينية) وتفسير الكتب المقدسة، ونسخ المخطوطات، وتراجم لحياة الشهداء وأعمالهم، وقوانين الكنيسة وغيرها. مما ساعد علي انتشار الثقافة الدينية (كان ذلك، طبعا، قبل معرفة الطباعة). وكان **الأب "باخوم"** من أبناء الصعيد (بلدة إدفو) هو مؤسس هذا النظام، ولقب بـ **أبي الشركة**. ولقد أقام في دير محاط بسور ومعه عدد من الرهبان، وتوفي في عام ٣٤٩ م .

ولقد انتشرت الأديرة في مصر للرهبان والراهبات في مناطق عديدة، مثل: دير" سانت كاترين" بسيناء (بوادي فيران، بالقرب من جبل موسي). و"واحة الأديرة العتيقة" بوادي النطرون، غرب الدلتا. وهناك أديرة أخري كذلك بالقرب من البحر الأحمر، ومنطقة مريوط، وفي صعيد مصر .

لقد كان للرهبانية المصرية أثر كبير علي المسيحية بسائر بلدان العالم، لأنها انتشرت من مصر إلي فلسطين والشام والأناضول والدولة البيزنطية وغرب أوروبا. وكذلك إلي ليبيا وبرقة والحبشة بإفريقيا .

لما جاءت الدولة الرومانية الشرقية أو البيزنطية (عام ٣٩٥ م .) وكانت عاصمتها بيزنطة(أو القسطنطينية أو إستانبول حاليا) ألغت هي الأخرى الديانة الوثنية ، واتخذت المسيحية ديانة رسمية لها، وتبعت، في البداية، الكنيسة المرقصية بالإسكندرية. وشهد تاريخ مصرفي هذه الحقبة، سمو مكانة بطريرك أو" **بابا الإسكندرية** ". وبذلك أصبح بابا الإسكندرية رأس الدين المسيحي، ومصدر التشريع الكنسي في العالم كله. لدرجة أنه كان يخاطب الأباطرة مخاطبة الند للند. وليس أدل علي ذلك، من اعتراف **مجمع "نيقية أو النيقاوي"** (أول المجامع المسكونية العالمية) في عام ٣٢٥ م.، بسيادته الدينية علي أساقفة مصر وليبيا وبرقة. وكان في الإسكندرية عمداء اللاهوت ، وكتبت المسيحية، وحظيت كتاباتها وقوانينها بمركز الصدارة .

في هذا العصر، نشأت فئة من **الصابئين** (أو الصُبَّة بالعامية) من كل من اليهود والنصارى، أي مِن مَن كانوا يهودا في الأصل، ثم دخلت في عقائدهم بعد ذلك بعض العقائد النصرانية. أو كانوا نصارى في الأصل، ثم دخلت في عقائدهم بعد ذلك عقائد يهودية. وهذه الفئة من الصابئة، تجمع إلي عبادة الله تعالي، عبادة روح القدس (أي أن عقيدة كل فرد منهم عبارة عن خليط من اليهودية والنصرانية) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

(البقرة٦٢)

وفي عام ٤٥١ بعد الميلاد ، إنفصلت كنائس بلدان غرب أوروبا عن كنيسة الإسكندرية لخلاف في المذهب . ثم أنشأت إيطاليا بالمثل بعد ذلك ، نظام البابوية لغرب أوروبا (بابا الفاتيكان حاليا). أما كنائس بلدان شرق أوروبا

(ومنهم بيزنطة) وروسيا بآسيا، وكذلك الحبشة بإفريقيا، فقد ظلت موالية لكنيسة الإسكندرية .

وفي أواخر حكم البيزنطيين (أي في حوالي عام ٦٠٠ م.) تغيَّر مذهبهم الديني، فانشقوا أيضا عن كنيسة الإسكندرية.ولم تسلم المشاعر الوطنية للمسيحيين المصريين (أي الأقباط) من الإضطهاد، حين حاول أباطرة بيزنطة فرض مذهبهم الديني المختلف، عليهم بالقوة. لكنهم رفضوا وخرج بعضهم وعلي رأسهم **بابا الإسكندرية" بنيامين"** (عام ٦٣٠ م .) ليلا إلي الصحاري وخاصة سيناء الطاهرة، وإلي الصعيد فرارا من القهر، وقاموا بشغل الأديرة القديمة، بالإضافة إلي بناء أديرة جديدة للعبادة .

لقد كان للرهبنة المصرية، أثر كبير علي المسيحية بسائر بلدان العالم (كما اسلفنا). وفي جميع أديرة هذه البلدان، تم الاسترشاد بالقواعد والمبادئ الرهبانية بمصر، وأهمها " **أن العمل عبادة** " وهي مقولة الأب "باخوم" المأثورة .

وعند الفتح الإسلامي لمصر (عام ٦٤١ م.) نقل القائد "عمرو بن العاص" العاصمة من الإسكندرية إلي **الفسطاط** (القاهرة حاليا). وأطلق العرب اسم " **دارالقبط** " علي أرض مصر. لذلك، أصبح معني اسم " **قبطي**" هو "**مسيحي**" (بدلا من **مصري**) في أذهان العرب بعد الفتح الإسلامي. وسمح القائد عمرو بن العاص لرجال الدين المسيحي بالعودة إلي مدنهم، وعلي رأسهم **البطريرك** "**بنيامين**" **التقي** (بشهادة القائد ابن العاص نفسه) وفتح كنائسهم وأديرتهم، وممارسة شعائرهم في أمن وأمان. وكان قد مضي علي هروبهم إلي الصحاري حوالي عشر سنوات . وبذلك احتفظت الإسكندرية بمركزها الديني المسيحي المتفرد حتى يومنا هذا .

لقد كان تصرف القائد عمرو بن العاص متمشيا مع خُلُق المسلم وتعاليم الإسلام، ومهتديا بسنة وأحاديث رسوله الكريم :

[إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا، فإن لهم ذمة ورحما .]
[إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض، لأنهم في رباط إلي يوم القيامة] صدق رسول الله .

واستقرت الحياة والسلام علي أرض مصر. وتزوج المسلمون الوافدون من نساء القبط. فامتزجت الدماء العربية المسلمة بدماء غالبية الأقباط، مكونة مجتمعا مختلطا من المصريين مسلمين ومسيحيين (أو أقباط) .

opeikandl.com

جلد الإنسان وعمله

إن الذين يخافون الله، تنقبض جلودهم وقلوبهم، وتتصلب عضلاتها، عند تلاوة القرآن الكريم بلغته المعجزة ، وسماعهم لمواعظه وأحكامه المتكررة ، ووعيده بالعذاب للضّالين. ثم تلين وترتخى جلود وقلوب من يشاء الله لهم الهداية والتوفيق إلى الإيمان بذكر الله :

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

(الزمر ٢٣)

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾

(الرعد ٢٨)

أى إن جلود وقلوب الذين هداهم الله تنبسط وتطمئن بما جاء بالقرآن الكريم :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(الحجر ٩)

أما من يضله الله (لعلمه أنه سيُعرض عن الحق) فليس له من مرشد ينقذه من الضلال .

وإذا رجعنا إلى ما جاء بعلمنا الحديث، وهو قليل (الإسراء : ٨٥). نجد أنه يتمشى مع ما جاء بالقرآن الكريم ، الذي أنزل منذ ١٤ قرنا مضت . فجلد الإنسان غطاء سميك ناعم ومرن لمعظم السطح الخارجي لجسمه (مساحته حوالي متران مربعان) .وللجلد لون متميز، يرجع إلى نسبة صبغة " الملانين Melanin" السوداء (المشتقة من الدم) بالخلايا الصبغية به. وكذلك توجد هذه الصبغة في الشعر ومشيمة العين وحول حلمتي ثديَّي المرأة الحامل :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

(الروم٢٢)

ويحمى الجلد الأنسجة الرخوة التي تحته من التلف، وهو يمنع فقدان السوائل من الجسم . ومرونته الفائقة تساعده على إعطاء الشكل للجسم، وعلى التكيّف مع حركات أعضاءه، مثل المفاصل، فيعود إلى وضعه الطبيعي . فإذا نظرنا إلي سطح الجلد من خلال عدسة مكبرة، خاصة جلد ظهر اليد، نشاهد فتحات صغيرة كثيرة تسمي "**المسام**". وهي تقع بنهاية القنوات الآتية من الغدد العرقية في الطبقات العميقة. وكذلك نشاهد خطوطا رفيعة تسمي "**بخطوط الشد**"، والسبب في تواجدها مرونة الطبقات العميقة. فهي التي تُعيدها إلي وضعها الطبيعي إذا شُدَّت. فإذا ثُنِيَت أصابع اليد، مثلا، وبذلك شُدَّ جلد ظهرها، فستختفي خطوط الشد هذه في الحال .

ويتكون الجلد من طبقتين :

ا)**البشرة** – وهى الطبقة الخارجية ، وتتكون من ثلاث أنسجة متراكبة :

النسيج السطحي– وهو القرني (الشفاف) دائم الإحتكاك ، ويختلف نوعه وسمكه حسب مكانه، من نصف مليّمتر (بجفون العين وشفاة الفم وصوان الأذن، وهى

أرق أجزاء) إلى ٦مم (براحة اليد وعقب القدم، وهى أسمك وأقوى أجزاء). هذا النسيج عبارة عن **خلايا طلائيه** ميتة لا تحس ولا تنفذ الماء. علاوة على أن هذا النسيج السطحى يحمى كل الأنسجة التى تحته من أى شئ ضار لها. ويلاحظ أن هذا النسيج السطحي هو الذى يبلى باستمرار ولكنه، في نفس الوقت، في تجددمستمر.

النسيج الوسطي- حبيبى، وله قدرة مالئة، لإبراز وشد النسيج السطحي .

أما **النسيج الداخلي**- وهو الثالث، فخلاياه نشطة جدا ودائمة التكاثر وذلك لتجديد خلاياه الحية. وكذلك هو المسئول عن تجديد وحماية البشرة. ولذلك تتجدد البشرة تلقائيا مرة كل شهر تقريبا. ولقد حبا الله هذا النسيج الداخلى بسرعة بنائية لخلاياه أعلى بكثير عن بقية خلايا الجسم الحية، حتى تلتئم جروحه في زمن قصير. وهو يتغذى عن طريق سطح الأدمة المتواجد أسفل منه، وذلك لأن البشرة ليس بها أى أوعية دموية، وإن وجدت بها بعض النهايات العصبية وجسيمات الحس ومستقبلات اللمس (وهذا ما يعين مكفوفى البصر على القراءة بواسطة طريقة برايل) وعلى **الرؤية بواسطة لمس الأنامل**. وتتماسك "البشرة" مع الطبقة التى تحتها "الأدمة" بواسطة نسيج رابط يعرف بإسم "**الغشاء الأساسى الرابط** " .

ب) الأدمة – وهى قرمزية اللون. وتتكون أساسا من نسيج يحتوى على خلايا عضلية، وغدد عَرَقية ودهنية، وشبكة من الشعيرات الدموية للتغذية(أى يتبادل بخلاياها الأوكسيجين مع ثانى أوكسيد الكربون، وكذلك المواد الغذائية مع نفايات

الخلايا) ، وألياف عصبية منتشرة، ومتصلة بالحبل الشوكى والمخ. فهى شديدة الحساسية للمؤثرات الداخلية والخارجية لتنظيم درجة حرارة الجسم وضغط الدم، ويتبعها الشعوربالخوف والراحة والإطمئنان. وهى كذلك مسئولة عن الإحساس لوجود ملايين المستقبلات الحسية، مثل: اللمس والشعور بالضغط الخفيف والشديد واختلاف درجات الحرارة (سخونة وبرودة) عن طريق التمدد والإنقباض (للأوعية الدموية والقلب، وكذلك الألياف العصبية) ثم الألم عند الإحتراق (أى عند درجة حرارة أعلى من ٤٥ درجة مئوية) وعند التجمد. كما يتم تنظيم درجة حرارة الجلد، أى الجسم ككل، عن طريق بخر العرق. لهذا يصاحب إحتراق طبقة جلد الإنسان أشد أنواع العذاب له .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

(النساء٥٦)

ويوم يحشر الكفار والضالون إلى النار ويسألون عما أرتكبوا من الذنوب في الدنيا فينكرون.وهنا تقفل أفواههم وتشهد عليهم جلودهم وما يتبعها من أيد وأرجل وآذان وعيون (أى سمعهم وأبصارهم) :

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

(يس٦٥)

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

(فصلت٢٠)

ومن أدعية المصطفى- صلى‌الله عليه وسلم- في سجوده :

[سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره بحوله وقدرته] .

هنا نلاحظ أن كلمة "**شق**" سمعه وبصره، يستخدمها علماؤنا حاليا كمصطلح علمي، عند خلق أعضاء سمع وبصر الجنين من جلده في بطن أمه .

أى علمٍ .... وأى إعجازٍ هذا.... وفى إعتقادنا، أنّ علمنا الحديث، سوف يكتشف (إن آجلا أو عاجلا) أن خلية الجلد قادرة على تخزين المعلومات ....! وهذا ليس على الله بعسير . (راجع ما اكتشفه العلماء حديثاً عن ذاكرة الخلايا ونُشر أثناء طباعة الكتاب ، صفحة ١١٨) .

هذا وينمو من منطقتى الجلد أنواع مختلفة أخرى من الزوائد، وهى: الشعر والأظافر والأذن الخارجية :

فالشعر يختلف فى كثافته حسب أماكنه فى الجسم. وتتكون الشعرة من جذع ظاهر، وجذر داخل بصيلة شعرية مدفونة فى الجلد، ومتصل بها غدة دهنية أو أكثر لتشحيم الشعر والجلد. وكل بصيلة متصل بها عضلة صغيرة لتحريك الشعرة بعيدا عن الجلد .

أما **الأظافر** التى عند أطراف الأصابع، فالجزء الأبيض الظاهر من الظفر ينغرس جذره بالبشرة، وجانبيه فى ثنايات صغيرة من الجلد. وهو يرتكز على مهد يتكون بواسطة أدمة الجلد القرمزية اللون. وتتكون المادة الجديدة للظفر عند جذره بواسطة الطبقة التوزيعية لبشرة الجلد، وكلما تكونت مادة الظفر الجديدة، دفعت أمامها المادة القديمة فوق مهد الظفر حتى تصل إلى الحافة فى حوالى ثلاثة أشهر. وإذا أصيب الظفر بضرر، فإن الظفر الجديد الذى يتكون عند الجذر، يزيح بمرور الوقت الجزء المصاب، ولذلك لن يكون هناك ضرر دائم للظفر .

أما الأذن الخارجية فهى مع الأذن الوسطى والأذن الداخلية يكونوا معا الأذن. **والأذن الخارجية** فقط هى التى تتبع الجلد . وهى عبارة عن جزئين: **الصوان**- وهو غضروف مغطى بطبقة من الجلد الرقيق القابل للإنثناء (١) .

والقناة السمعية الخارجية- وطولها ٢،٥ سم (٣). ووظيفتها تجميع الموجات الصوتية وحشدها فى **غشاء الطبلة** المتواجد فى نهاية القناة فى الداخل وعند بداية الأذن الوسطى (٤) .

وللعلم، فالأذن الوسطى عبارة عن حجرة صغيرة تضم ثلاث عظيمات سمعية دقيقة (٥). وهى مرتبة بحيث تنقل ذبذبات الصوت من غشاء الطبلة إلى عضو السمع الحقيقى، وهو القوقعة (١٠) فى الأذن الداخلية. ويتم ذلك عن طريق تذبذب بعض الشعيرات (أي الأوعية الشعرية) الصغيرة بداخل القوقعة عبر العصب السمعى (١١) إلى المخ، ولإدراك الأصوات ذات الطبقات المختلفة. وبالأذن الداخلية أيضا قنوات هلالية (٩) مسئولة عن تحديد إتجاه وسرعة تحرك الرأس. وبها أيضا كيسين (٨) بهما نتوءات صغيرة مسئولة عن وعى المخ بموضع الرأس كلما تحركت .

وللجلد عدة وظائف حيوية أخرى أهمها :

١) **حماية الجسم من المخاطر الخارجية**، مثل: الكدمات والأشعَّات الضارة، إذا طال التعرض لها (مثل الأشعة فوق البنفسجية) والجروح، ومهاجمة الجراثيم الضارة له من أن تشق طريقها إلى داخل الأنسجة وتسبب العدوى . ولذلك يجب الحفاظ على نظافته ، وخاصة الأجزاء المكشوفة منه (ولهذا أمرنا الله سبحانه بالوضوء للصلاة خمس مرات في اليوم) . فالجلد يعتبر مرآة لصحة الجسم. فيه تظهر بعض الأمراض ، أهمها المتعلقة بالأوعية الدموية والقلب(مثل تورم الساقين ، وزرقة وبرودة اليدين والقدمين ، وإحمرار الوجه ، والتقرحات ، وسقوط شعر الرأس). لذلك، إذا دمر جلد الإنسان

عن طريق الحرق الكامل أو التهتك التام، بسبب الجروح، فهذا يؤدى إلى الموت .

٢) **إخراج جزء من الماء الزائد عن حاجة الجسم عن طريق الأوعية الدموية بالأدمة، على هيئة عرق**، عن طريق مسام (فتحات صغيرة) فى نهاية قنوات الغدد العرقية فى الطبقات العميقة والمنتشرة بكثافات مختلفة حسب أماكنها على سطح الجلد . ويلعب العرق بتبخره دورًا هاماً فى تلطيف حرارة سطح الجلد ، وبالتالي حرارة الجسم كله (وهى ٣٧ درجة مئوية) لذلك تعتبر هذه المسام جهاز تكييف طبيعي للجسم ٠٠٠! سبحان الله . كما يحمل العرق معه بعض الأملاح المعدنية الزائدة، والمواد العضوية السامة(مثل البولينا) الذائبة فيه .

٣) **الحفاظ على طبيعة الشعر والرموش والأظافر، وليونتها بواسطة العضلات والغدد الدهنية الجلدية** . والأخيرة تمد الجسم **كذلك بفيتامين** " د" (D)، حيث أن تعرضها للأشعة فوق البنفسجية المصاحبة لأشعة الشمس، يحول دهونها المكوّنة من الكولسترول (غير المشبع) إلى فيتامين" د" ، الذي يقي العظام من مرض الكساح .

٤) تزويد صدر الأم بعد الولادة **بلبن لرضيعها** عن طريق الغدد اللبنية بثدييها .

الجن والإنس

لقد خلق الله الجن والإنس ليس لمنفعته سبحانه، ولكن لكى يعبدوه وذلك فيه منفعة لهم :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

(الذاريات٥٦)

فقانون الوجود الذى خُلق من أجله الجن والإنس هو عبادة الخالق ، ليس بالشعائر فقط لنعمه الكثيرة عليهم ، ولكن أيضا بالعمل الصالح فى الأرض. ولهذا وجب على كل خلقه، بمختلف صوره فى هذا الوجود المتحرك ، أن يعبدوه ويُسَبِّحوا بحمده، كل بطريقته الخاصة :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾

(الإسراء٤٤)

فمن الجن والإنس الأبرارالمتقون، أى المؤمنون، ومنهم أيضا **القاسطون** (جمع قاسط) وهم الذين حادوا عن طريق الحق والهدى وهم لجهنم وقودا :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الجن ١١-١٥)

خلق الله عالم الجن، ومنهم " **إبليس**"، من نارالسموم التي لا يراها الإنسان ولا يعلم عنها شيئا. لهيبها شديد مُتَمَوِّج ليس له دخان، أى من نار ليست كنار الأرض... ! حيث أن أشعتها خارج نطاق أو قدرة بصر وحس الإنسان (فطول موجاتها غالبا ما تكون مثل طول موجات الأشعة تحت الحمراء غير المرئية علي الأقل ... والله أعلم. وكان ذلك قبل خلق عالم الإنس من طين يابس رنان:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾

(الحجر ٢٦-٢٧)

الجن قادر على الحياة على الأرض وفى باطنها وخارجها، وهو أسرع فى الحركة من الإنس. وهو قادر علي التشكل علي هيئة أي مخلوق آخر. وفي كل هيئة تكون تصرفاته مقصورة فقط علي هذه الهيئة. يرى الجن الإنس ، والإنس لايرونهم بالعين فى هيئتهم الأصلية . شياطين الجن (الشيطان بالمعجم هو المخلوق المُتمَرد المُفسِد، أو الروح الشريرة) قادرون على الوسوسة فى صدور الإنس بالشر عادة، ويُخوِّفوهم من الفقر. لذلك يُحضُّوهم علي المعصية بكلام معسول كذب فى محاولة ليلقوا فيهم الغرور الباطل ، ولإمتحان قلوب المؤمنين منهم فى الخفاء .

والله واسع المغفرة ولا يخفي عليه شئ من أمورهم :

﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾

(البقرة ٢٦٨)

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

(الزخرف ٣٦-٣٧)

فيضل الضعيف منهم ، ويصبح الشيطان وليّهُ وعدوّهُ :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (الكهف ٥٠)

أو يتسلط عليه ويلازمه ليكون له قرين ليضله ويغويه :

أما المؤمن القوي الصادق فيحتمى من الشيطان بذكر ربه ووليه، وبقراءة القرآن .

على الرغم من الضعف الذاتى للشياطين من الجن و الإنس (أى المتمردين المفسدين) إلا أن تأثيرهم على المشركين بالله غالبا مايكلل بالنجاح . فالمشركون بالله دائما يحصرون كل همهم فىحب الدنيا . ولذلك يصغون لإيحاء الشياطين بقلوب لاتحس بالحق، وبأعين لاترى الأدلة الإلهية، وبآذان لاتسمع الآيات، ويصبحون فى حياتهم كالبهائم لا يعقلون ، بل هم أكثر ضلالاً وإغفالاً لقدرة الله، فكانوا من الخاسرين :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

(الأعراف ١٧٩)

وسوف تُملأ بهم النار يوم القيامة فى تتابع، أمة وراء أمة :

﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

(الأعراف ٣٨)

أما المؤمنون من الجن والإنس فلهم جنات النعيم وزوجات حسان .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾

(الرحمن ٤٦-٦٠)

ولقد سخر الله طائفة من الجن والإنس المؤمنين، وكذلك الطير، فى جيش واحد **لسليمان** يأتمرون بأمره، ويعاونوه فى البناء والتعمير :

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

(سبأ١٢-١٣)

ويغوصون فى البحر لإستخراج اللؤلؤ والمرجان :

﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

(الأنبياء٨٢)

أما الجن والإنس المشركون بالله، فلقد إدّعوا على الله كذباً بأنه إتخذ زوجةً وولداً، ووصفوه بما لايليق به. وظنوا أن الله لن يبعث أحدا بعد الموت، ولا رسولاً من البشر إليهم :

﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ ﴾

(الجن٣-٧)

ولما حاول شياطين الجن بلوغ السماء والإتصال بالملإ الأعلى والتسمّع على مايدور فيه بين الملائكة عن شئون الإنس فى الأرض، وما يكلفهم الله به من التقوى وحسن الخلق، وعلى الغيب المقدر للإنس حتى يبلغوه لأولى الأمر من شياطين الجن ليقوم هؤلاء بفتنة الإنس، وجدوا أن هذا التصنت مستحيل، وأن الطريق اليه محروس **بالملائكة والشهب المنقضة الراجمة المحرقة**، كما أسلفنا. أما كيف يتم ذلك ولماذا ...؟ وهل هوخير أم شر لمن فى الأرض...؟ فهذا لم يفسره القرآن الكريم، ولذلك فهو من الغيب بالنسبة للجن والإنس :

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾

(الجن٨-١٠)

يا معشرالجن والإنس لن تستطيعوا أن تنطلقوا خارج نطاق جاذبية الأرض إلا بواسطة قوة جبارة ... ! :

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

(الرحمن٣٣)

إن الوجود فى الكون حافل بالقوى والأسرار والأرواح والأحياء. والمؤمن الحق هو الذى يحصر تفسيره لكل قول أو رؤية أو تصور يعنّ له، إلى ما جاءت به الكتب السماوية وألسنة الرسل والأنبياء، لأن للعقل البشرى مجال معين، وقدرة محدودة فى إرتياد المجهول. ولقد خلق الله البشر بالقدر العقلى

والعلمى اللازم له، بالقياس إلى ما حوله ومن حوله فقط، حتى يستطيع أن يؤدى دوره فى تعمير الأرض على هدى من شريعة الله .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

(الإسراء٨٥)

إن عالم الغيب مجهول للجن أيضا، بدليل أنه لما مات **سليمان**، وكان واقفا مُتّكئاً على عصاه، ظل كذلك لفترة طويلة والجن يعملون بمشقة فى خدمته ظانين انه يصلى! إلى أن أرسل الله حشرة "الأرَضَة" فنخرت عصاه من داخلها . فلما إختلت وسقطت وهوى جسده على الارض، هنا فقط، علم الجن أنه مات من زمن طويل :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾

(سبأ١٤)

وهناك أستثناء واحد فقط وهو ما يأذن به الله من الغيب فيطّلع عليه من يشاء من رسله وعباده الصالحين :

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾

(الجن٢٦-٢٧)

إن آيات الله المَتلوَّة فى كتابه العزيز لخير دليل على تواجده وسلطانه وأنه الحق . وأن هذا الكتاب منهج حياة كامل للفرد والجماعة. ولقد أنزله الله متحدياً به **الجن والإنس** معاً (كمثلين لمخلوقيه **الخفى والظاهر** بالأرض) .

ليأتيا بمثله، وهو يعلم أنهما سيعجزان ولو تعاونا بعضهم يظاهر بعض :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

(الإسراء٨٨)

ووجه الله جماعة من الجن الى **محمد** (صلى الله عليه وسلم) وهو قائم يصلى لكى يستمعون القرآن، وكان ذلك فى بداية دعوته لقومه إلى الإسلام. فلما حضروا تلاوته، والتفُّوا حوله وأنصتوا إليه صامتين منتبهين ، مس قلوبهم .

فأسرعوا إلى قومهم محذرين من الكفر بالله، ودعوهم إلى الإيمان به وبرسوله :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

(الأحقاف٢٩-٣٢)

ولقد آمنت هذه المجموعة من الجن إيماناً خالصاً ،أساسه حقيقة القرآن، وهى التوحيد بالله :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ ﴾ (الجن ١ - ٤)

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ ﴾ (الجن ١٣ - ١٤)

فالقرآن، فى الأصل، نزل لتحريك قلوب البشر من الإنس ، وفى نفس الوقت ليُظهر لهم وحدة العقيدة والصلة الأكيدة بينه وبين توراة موسى. وليعلن هذه الحقيقة التى أدركها الجن أولاً ويغفل عنها البشر من الإنس . كذلك تجدر الإشارة هنا إلى كلام الجن عن الكون أللانهائى، الذى يدل على قدرة وعظمة الله فى خلق السماوات والأرض وما بينهما. والمُؤكدة بالتالى على ما هو أسهل، وهو بعث الموتي والحياة الآخرة. وهى القضية التى يقف عندها الإنس فى إنكار وجحود منكرين أن الله قادر على ذلك :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣ ﴾

(الأحقاف ٣٣)

هنا يتبين أن الرسول قد علم بقصة الجن عن طريق الوحى ، لأنه لم يـــر الجن ولم يشعر بهم . وأن القرآن يقرر وجود الجن ،وأنهم يستمعون له بلغتـــه العربية ، وأنهم خَلْق قابل للهداية والإيمان، وكذلك للضلال والكفران. وفى يوم القيامة يُعرض الذين كفروا من الجن والإنس على النار، ويكونوا لها وقودا :

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

(الأحقاف ٣٤)

﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾

(الجن ١٥)

opeikandl.com

طوفان نوح والبحر الأسود

هاجر **قابيل** بن آدم وذريته وأتباعه هرباً من أرض أبيه (اليمن على الأرجح) متجها شرقا ثم شمالا حتى استقر بهم المقام، فى النهاية، بشمال أرض ما بين النهرين (دجلة والفرات) أى عند منابعهما بهضبة الأناضول بشبه جزيرة آسيا الصغرى (تركيا حاليا) والتى تقع بين البحر الأسود والبحر المتوسط .

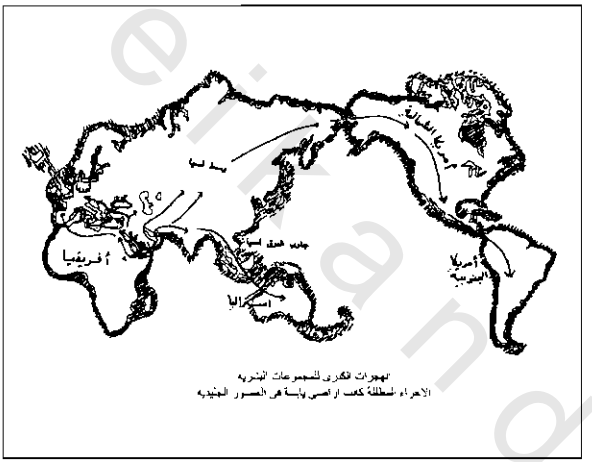

بعد ذلك لحق بهم، من أرض نهر النيل، نبى الله **شيث** (أخو قابيل) وبعض من ذريته وأتباعه. وحينئذ مات آ دم بأرض اليمن. ومكث شيث بأرض ما بين النهرين يدعو إلى عبادة الله الواحد أكثر من أربعة قرون، إلى أن إستقبل "**متوشالح**" بن إدريس بن يارد (حفيد حفيده). وكان مصطحبا إبنه "**لامك**" وأهلهما، قادمين من **الأرض المحبوبة** (مصر) لعدم إستطاعتهم البقاء فيها، لإنتشار الوثنية بها بعد مضي زمن طويل من رفع نبي الله "إدريس" هرمس الهرامسة (كما لقبه المصريين، ويني عالِم الكواكب والنجوم السماوية) إلي السماء، ونسيان شريعة التوحيد. وبعد بضعة سنوات أنجب لامك إبنه "**نوح**". ومات شيث وقد ناهز ٩١٢، وكان قد مضى على وفاة **آد م** حوالى ١٠٠٠سنة (عن السنة النبوية). ولقد إستغرق هذا حقبة طويلة من الزمان نسى فيها بنو قابيل وبنو شيث تعاليم وشريعة جدهم الأكبرآدم، وعبدوا الأصنام. وقيل أن هذا الشِرك بدأ بظهور خمسة من الرجال الصالحين فى أماكن وأقوام متفرقة هم:"**ود**"

فى بنى كلب، و"**سواع**" فى بنى هزيل، و"**يغوث**" فى بنى غطفان، و"**يعوق**" فى بنى همدان، و"**نسر**" فى بنى حميْر :

﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾

(نوح٢٣-٢٤)

وبعد موتهم المتعاقب، نحت أقوامهم لهم تماثيلا حبا وتخليدا لذكراهم. ومع مضى الزمن نسى أحفاد الأحفاد لماذا نُحتت هذه التماثيل ، وإعتقدوا أنها لآلهة ، فعبدوها وأشركوا بالله. وأصبحت المعيشة بأرض ما بين النهرين أيضا جحيما من الظلم والقسوة والضلال .

ولما كان الله لا يعذب قوما على معصية إلا بعد أن يرسل لهم رسولا ليهديهم إلى الحق :

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾

(الإسراء١٥)

فأرسل الله لهؤلاء الناس (سلالة شيث وإدريس عليهما السلام) أول رسله "**نوح** " (وكان يعمل نجارا). ولكنهم عصوه فيما أمرهم به من الإيمان والإستغفار لله الواحد، خالق كل شيء. ودعا نوح على الكافرين بالهلاك :

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا

سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

(يونس ٧١-٧٣)

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾

(نوح ٢٦-٢٧)

(وعن التوراة – الإصحاح ٦ ، ٧ ، ٨ تكوين) .

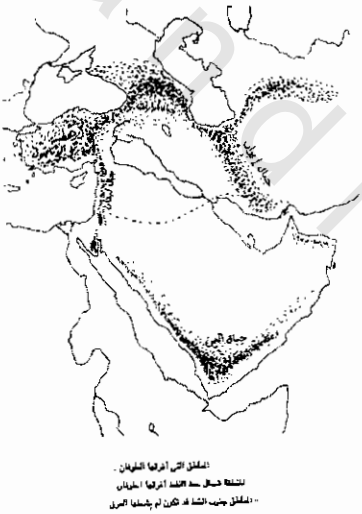

وإستجاب الله إلى دعوته . وعن طريق الوحى، أمره الله أن يبنى **سفينة كبيرة** من ثلاث طوابق، تحت إرشاده. وأن يجعل بها مساكن وكُوّى (جمع كُوّة أى نافذة) وأن يطليها بالقار من الداخل والخارج. وعلمه كيف يُسيّرُها. ولما جاء

اليوم الموعود، بدأ الهلاك، بغضبة **الطوفان** الذى تفجّرت له الأرض عن ينابيع وعيون. وخرج الماء فائرا من الباطن المنصهر للأرض (التى شبهها الخالق بالتنور، أى بالفرن) وهطل المطر الغزير منهمرا، كأفواه القرب، فى كل مكان بشمال أرض ما بين النهرين، وشبه جزيرة الأناضول (أى بالمنطقة الواقعة حاليا بين بحيرة عذبة الماء، واصبحت البحر الأسود فيما بعد) شمالا، وشرق البحر المتوسط جنوبا بغرب، وبحر قزوين حتي الخليج شرقا. وبين ست دول، هى حاليا: **روسيا** (جبال القوقاز) فى الشمال الشرقى، و**إيران** (جبال زاجروس) فى الجنوب الشرقى، و**تركيا** (جبال بنطس، وهضبة أرمينيا) فى الغرب، و**العراق** و**السعودية** حتي وسط شبه الجزيرة العربية تقريبا فى الجنوب، و**سورية** فى الجنوب الغربى) . وغمرت المياه الوديان وسفوح الجبال وقممها تدريجيا. وكان منظر الطوفان مظلما ومخيفا يثير الرعب. (والطوفان، للعلم ، يخالف الفيضان تماما، فليس له تيار مائي مندفع، يجرف كل ما يصادفه من الأشياء). ونجَّى الله من الغرق، فقط كل من كان بالسفينة من المؤمنين، ومنهم **إمرأة نوح المؤمنة**، وأولاده الثلاثة (**سام وحام ويافث**) ونساءهم وأتباعهم وكان عددهم قليل. وكذلك أزواج من مختلف مخلوقات المملكة الحيوانية (ذكر وأنثى):

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾

(هود ٤٠-٤١)

﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ (يس ٤١)

﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحاقة ١١-١٢)

ولما صدر الأمر الإلهى بتوقف الطوفان، وكفت السماء عن المطر، وإبتلعت الأرض الماء، رست السفينة على **الجودى** (أى المرسى، ومؤنثها جُدة) بالقرب من بلدة " **ديار بكر**" بجبال " **أراراط** " أعلى قمة (حوالى ٢١٠٠مترا فوق سطح البحر) **بهضبة أرمينيا**، شرق شبه جزيرة الأناضول حاليا، ومنبع أنهار المنطقة:

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(هود ٤٤)

ديار بكر المدينة الرئيسية بـــ "**كردستان**" وتقع حاليا داخل حدود تركيا، وهى مقر **الأكراد**. كان وطن الأكراد يمتد تاريخيا بين أربعة دول هى : تركيا والعراق وإيران وسورية. ولقد إندثر هذا الوطن بعد إنهيار الدولة العثمانية عام ١٩٢٠م .

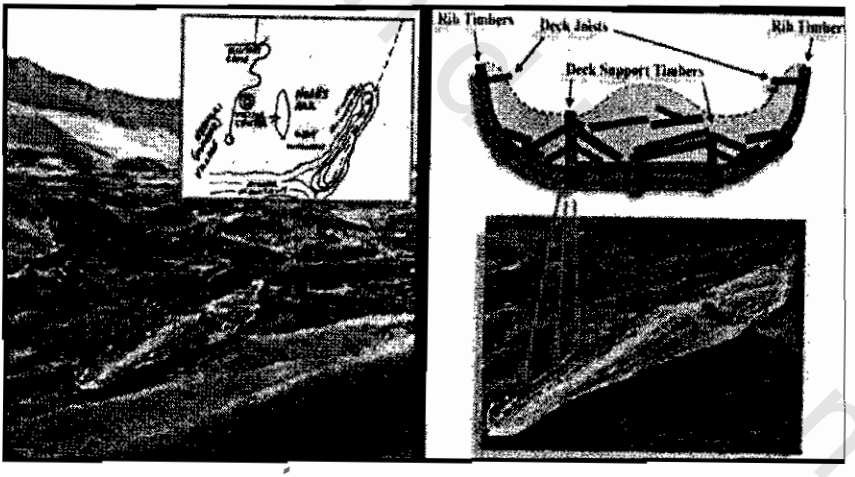

لقد كانت نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين عبرةً للناس وعظة، وتحفظها كل أذن حافظة لما تسمع. ولقد أثبتت الدراسات والحفريات الأثرية فى هذه المنطقة، حقيقة وجود بقايا سفينة نوح، وهى مطمورة فى طبقات رسوبية سميكة من الغرْيَن، التى إعتبرت دليلا على حدوث طوفان غامر (من سنة

٧٠٠٠ – ٣٠٠٠ قبل الميلاد) وأنها تقع فوق آثار تنتمى إلى عصور سابقة. ولما عادت الحياة للمنطقة، مات نوح عن عمرناهز ٩٥٠. وقبل موته جمع أتباعه وأوصاهم بعبادة الله وحده. وبارك الله فيهم فتكاثروا ، ولكن لم ينسل منهم من غير أبنائه الثلاثة :

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

(الصافات ٧٧)

وكوّنوا أمما عديدة، وفيهم الأنبياء والكتب السماوية. وعلى ذلك إعتُبر نوح آدم **الصغير والأب الثانى للبشر** :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

(الحديد ٢٦)

هذا بالإضافة إلى أنه كان رابع نبى من آدم، وكان أيضا أحد **أولى العزم** الخمسة من الأنبياء (وهم: **محمد وعيسى وموسى وإبراهيم ونوح)** عليهم السلام.

إنتشرت سلالة سام بن نوح (**الساميون**) فى العراق وسورية وشبه الجزيرة العربية، ولهذا سُمِّىَ سام **بأبى العرب** .

يُعد **الفينيقيون** من أوائل الشعوب الحامية المهاجرة من أرض ما بين النهرين إلى الأرض التى تسمى الآن سورية ولبنان. واستقرت على شريطها الساحلى الضيق بشرق البحر المتوسط، والذى عُرف بالساحل الفينيقى (لبنان وفلسطين حاليا). وإسم "فينيقيا" معناه الأرض الحمراء اللون، مثل الدم. وهو مشتق من الإسم الذى أطلقه الإغريق على سكانها "فينكس"أى الشعب الأحمر اللون،نسبة إلى

الصبغة الحمراء التى إستخرجوها من القواقع والحيوانات البحرية،التى تعيش بالقرب من سواحلهم، واستخدموها فى صباغة المنسوجات. ومن كلمة " فينكس" إشتُق إسم "**فينيقيا** ". وقيل نسبة إلى لون بشرة أُناسها التى لفحتها الشمس .

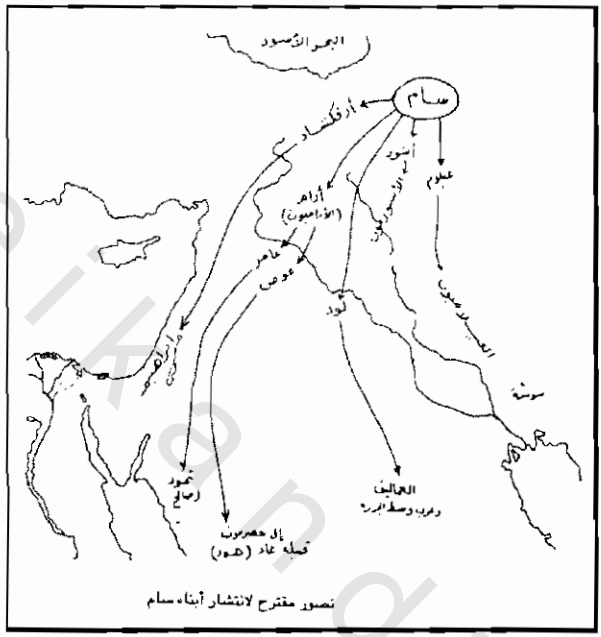

تصور مقترح لانتشار أبناء سام

ومن ذريات أولاد سام الخمس (أرام وأرفكشاد وأشور وعيلام ولود) استقر **الأشوريون** بشمال شرق أرض ما بين النهرين، **والعيلاميون** بشرقها، **وذرية أرفكشاد** بجنوبها، ومنها جاء نبيا الله **إبراهيم ولوط**. وفى شمال ووسط شبه الجزيرة العربية كان **العماليق** من ذرية لود. تنقسم كلمة عماليق بالعبرية إلى مقطعين (عم+ ماليق) أى قبيلة ماليق. وهى قبيلة من العرب القدماء وكانت تقطن بشمال خليج العقبة. أما جنوب وغرب شبه الجزيرة وساحلها الغربى على بحر القلزم فسكنه **الأراميون**، ومنهم جاء قوم **عاد** ونبي الله **هود** (ومعناه الهائد أو التائب) بالجنوب، وقوم **ثمود** ونبى الله **صالح** بالغرب. وهم من القبائل العربية البائدة، والتى سميت " **العرب العاربة** ". أما القبائل العربية التى نشأت بعد ذلك فى وسط شبه الجزيرة العربية وهى من نسل **إسماعيل**، عليه السلام، فقد أُطلق عليها إسم "**العرب المستعربة**" .

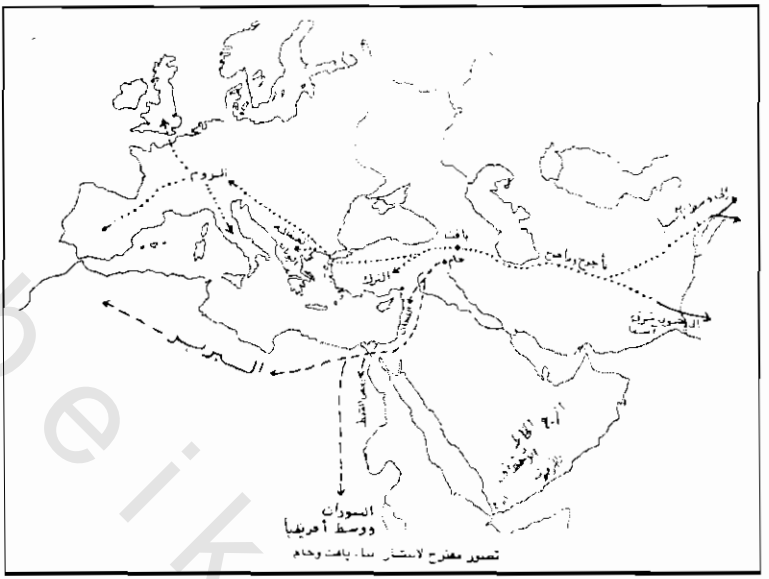

تصور مقترح لانتشار نسل يافث وحام

وإنتشرت **ذرية حام (الحاميون)** وذريات نسل أولاده الأربعة (كنعان ومصراييم وكوش وفوط) فى بلاد فلسطين وشمال إفريقيا (مصر والبربر) وفى وسطها (السودان والحبشة) ولذلك سُمى **بأبى الحبش** .

أما **ذرية يافث**، وذريات أولاده السبعة (جومر ومأجوج ومادى وياوان وتوبال وماشك وتيراس) فقد إنتشرت فى إتجاهين متضادين: أوروبا غربا، وسمى **بأبى الروم**. وآسيا الصغرى وآسيا شرقا مكونين حضارة الصين العظيمة، ومنها إلى الأمريكتين عن طريق مضيق "**بيرنج**" بأقصى الشمال، بين الشمال الشرقى لآسيا (الإتحاد السوفييتى) والشمال الغربى لأمريكا الشمالية (ألاسكا)، ويحتمل قبل تكوينه، أو كان أرضا ضحلة المياه .

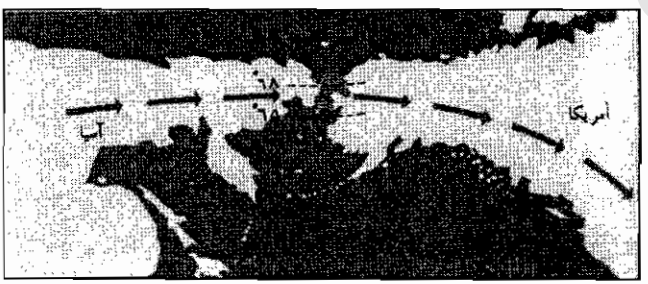

إذاً **فالموجة البشرية الأولى**، كما أسلفنا، كانت من أصلاب آدم وحواء وذرياتهما، إلى أن إنحرفوا بعد ذلك عن شريعة الله. فأرسل الله إليهم الأنبياء والرسل حتى عصر نوح. أما **الموجة البشرية الثانية**، فكانت من أصلاب نوح وبنيه بالتناسل حتى يومنا هذا. فبالزواج تتكون الخلايا التناسلية، وبتكاملها تنقسم الشفرات الوراثية. وسوف تستمر إلى يوم القيامة، كما أسلفنا .

ولقد وصف القرآن الكريم هذا التناسل الإنسانى وخطوات خلقه البينية عن طريق إنقسام الخلايا بدقة :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

(المؤمنون١٢-١٦)

إن علم الوراثة قد أكّد حديثا(وبعد ١٤ قرنا من نزول القرآن الكريم) الحقيقة بأن **بنى آدم** جميعهم، السابقين والحاليين واللاحقين حتى قيام الساعه، هم فى صلب أبيهم آدم منذ خلقه ربه، أى فى **شفرته الوراثية** المتواجدة فى معظم خلايا جسمه، والتى تخلق من بين الصلب والترائب، وشاركته فيه أمهم **حواء**. وعلى ذلك جعل الله التزاوج بين الرجل والمرأة سنة من سنن الحياة، وسبباً فى تكاثر البشر لتعمير الأرض .

خلق الله نسل الرجل من نطفة منه (أى المَنِىِّ، وهو مائى غير متماسك، قليل الكمية به العناصراللازمة للحياة الأُولى، وأهمها الحيوانات المنوية) ومن بويضة المرأة. وباجتماع النطفة مع البويضة فى رحم المرأة يتم تلقيح البويضة

ويتكون الجنين، كما أسلفنا. و**الرحم** هو بيت خلق الجنين ووعاؤه المثالى بجسم الأم، حيث يوفر له الحيِّز المناسب المظلم (ظلمات ثلاث من الخارج إلى الداخل: **البطن والرحم والمشيمة**) لنموه واحتياجاته من الأوكسيجين والغذاء، وحمايته بواسطة عظام الحوض الصلبة، وأربطة عريضة ومستديرة قوية تحيط به من جميع جوانبه، لتشده إلى المثانة والمستقيم لتحفظ توازنه وتثبته فى مكانه. هذا بالإضافة إلى إحاطة الجنين بثلاثة طبقات متتالية زيادة فى التثبيت والحماية. يزداد وزن الرحم أثناء الحمل من ٦٠ جرام إلى حوالى كيلوجرام واحد. ويزداد طوله من ٧ إلى ٣٥ سم، حتى يتوفر الحيّز المناسب لنمو الجنين. وهنا يلاحظ، أن نسبة الماء فى الجنين ٩٣% ، والإنسان البالغ ٧١% ، وفى دمه > ٨٠ % .

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾

(الزمر ٦)

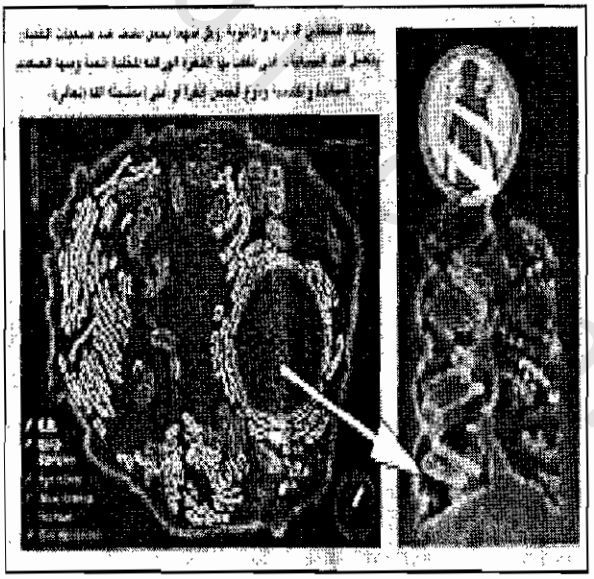

إذاً الشيفرات الوراثية لآدم كانت تحتوى على جميع الصفات الوراثية لذريته من أيامه إلي يوم القيامة. هذه الصفات تتوارث أو تنتقل من الآباء الى الأبناء طبقاً لقوانين وضعها الله" سبحانه وتعالى"، واكتشفها العلم الحديث فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى. هذه الصفات الوراثية تنتقل بواسطة أجزاء دقيقة أو وحدات عُرفت "**بالجينات**"**أو** "**المُوَرِّثات**" **(Genes)**. وأن هذه المورثات تُحمل على جسيمات خيطية وهى تتجمع أو تتكدس فى داخل نواة الخلية الحية، وتُعرف باسم"**الصبغِيَّات chromosomes**" وذلك لقدرتها على اكتساب الألوان والتلوّن بها. وعدد جزيئاتها يقدر بالبلايين فى نواة الخلية الواحدة (التي لا ترى بالعين المجردة) في الشيفرة الوراثية في الإنسان...!. ومن الصبغيات صبغيّ واحد مُختص بالتكاثر، وبالتالي التخطيط الوراثي للكائن الحي . وهو متواجد في الخلايا التناسلية لنطفتي الذكر والأنثى، والتي ينتج عنهما بالإخصاب تكوين النُطفة الأمشاج، ثم تكوين الجنين بالإنقسام المتكرر(لقمان: ٢٨) كما أسلفنا .

شاءت إرادة الواحد الأحد أن يُخلق كل شئ فى زوجية حتى يبقى هو، سبحانه، منفرداً بالوحدانية. وأوضح زوجية بالكائنات الحية هى التى تتكاثر بالتزاوج الجنسى. كذلك تتضح الزوجية فى الخلايا التناسلية الذكرية والأنثوية (أى النطفة) وفيها تتضح الزوجية التى قد تحمل صبغين متشابهين أومختلفين. وعند إتحادهما بالإخصاب يكونان نطفة أمشاج، كما أسلفنا. وهذه بالتالى تنقسم إنقساماً مطرداً لتكوين الجنين الكامل بإذن الله. وفى الصبغيات الوراثية يوجد أيضا الزوجية على هيئة سُلم حبلى مفتول يُعرف باسم" **اللولب المزدوج**". وهو يتكون من خطّين متصلين ببعضهما البعض بواسطة جزء عرضى دقيق يعرف باسم "**اللحمة المركزية**". وعددِ الصبغيات فى خلايا الإنسان محددة **بستة وأربعين صبغيا** فى ثلاثة وعشرين زوجا. ويتكون الصبغى أساسا من "الحمض النووى DNA " (كما أسلفنا). وهو يتواجد ايضا فى زوجية على هيئة شريط طويل حلزونى مزدوج الجدار. ومكوناته أزواج من جزيئات السكر والفوسفات، وأزواج أُخرى من جزيئات القواعد النيتروجينية (كالبروتين) وبأعداد لكلٍ .

لقد خلق الله خلية جسد الإنسان لتحمل شفرته الوراثية على عدد من الصبغيات (وهو ٤٦صبغيا) لتحديد نوعه. بينما جعل خلية تكاثر الإنسان وهى "النطفة" (أى الحيوان المنوى أو البويضة) تحمل كل منهما نصف هذا العدد فقط (أى ٢٣صبغيا). حتى إذا اتحد الحيوان المنوى للذكر مع بويضة الأنثى وتم الإخصاب، تكامل عدد الصبغيات إلى ٤٦. ونتج عن هذه العملية النطفة المخصبة (أى النطفة الأمشاج) :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝ ﴾

(الإنسان٢)

هنا يجدر الذكر، بأن الأعضاء التناسلية بجسم الذكر، تنشأ أولا وهو جنين بين صُلبه (أى ظهره أوعموده الفقرى) ثم تهاجر الخصيتين وهو طفل إلى مكانهما الدائم أسفل بطنه وخارج حوضه العظمى. أما فى حالة الانثى، فتنشأ الأعضاء التناسلية أولا بين عظام قفصها الصدرى (أى بين ترائبها) ثم يهاجر رحمها فقط ، إلى مكانه الدائم أسفل بطنها وإلى داخل حوضها العظمى، تاركا المبيضين فى مكانهما الأصلى .

بالعودة مرة ثانية إلى النطفة المخصبة، نقول أنها بعد ذلك، تبدأ فى الإنقسام المستمر حتى تكوّن " **العلقة** " أى التى تعلق، أو تغرس، بجدار رحم الأم، ثم تتحول إلى " **مضغة** "، ومنها إلى مرحلة **بناء العظام**، ثم كسوة العظام **باللحم** وإنشاء الجنين. ويخرج هذا الجنين عند ميلاده، بعد فترة تتراوح بين سبعة إلى تسعة أشهر حاملا نصف صفاته عن أبيه وأجداده إلى آدم. والنصف الآخر عن أمه وأجدادها إلى حواء .

إذاً فالشفرات الوراثية- كما سبق الذكر- لجميع البشر الذين تم خلقهم ، ثم ماتوا. والأحياء من بعدهم ، الذين سوف يموت منهم الملايين فى كل يوم، وكذلك الذين سوف يخلقون إلى يوم القيامة، كل هؤلاء كانوا فى صلب الأب

الأول آدم عند خلقه. ومن هذا المخزون الوراثى الأول، إنتقل جزء إلى نوح وإلى كل من آمن معه من بنيه. ويشكل هذا الجزء، المخزون الوراثى الثانى، الذى خلق ويُخلق حاليا ومستقبلا إلى يوم الساعة :

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣ ﴾

(الإسراء٣)

(راجع خلق الإنسان في الفصل الأول) .

حديثا إستحوذ البحر الأسود على إهتمام بعض علماء الجيولوجيا (علوم الأرض) بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة(عام١٩٩٩م.) وأعلنوا عن نظرية لتفسير تكوّن التركيب الحيوى الغريب لمياه هذا البحر وسواحله المتعددة والمتدرجة من أسفل إلي أعلي، مع زيادة مساحته مع مضى الزمن، الذى بدأ جيولوجيا مع بداية **العصر الحجرى الأوسط** :٨٠٠٠-٤٠٠٠ سنة ق.م.). عند ما حدث ذوبان الثلوج فى شمال الأرض نتيجة موجة دافئة (كما أسلفنا). ولقد أدى ذلك إلى إرتفاع منسوب البحر المتوسط ، وإنهيار تربة المضيق الصخرى الذى كان يصل غرب آسيا الصغرى بشرق أوروبا فى هذه المنطقة، فاصلا حوض منخفض بحيرة عذبة (البحرالأسود حاليا)عن حوض البحرالمتوسط المرتفع نسبيا. وبذلك تدفقت مياه البحر المتوسط (المالحة وعالية الكثافة) بقوة إلى منخفض البحيرة العذبة (أى ذات الكثافة الأقل). مما جعل المياه المالحة تتركزفى القاع تحت المياه العذبة. علاوة على إرتفاع منسوب المياه بالبحيرة حوالى ١٠٠مترا، لتغطى مساحات أكبر حولها، معطية سواحل جديدة مرتفعة ومرتدة (حوالى٢٠٠م. فى المتوسط) إلى الخارج، مكونة البحرالأسود الحالى. كما كونت مضيقين مائيين (**الدردنيل** علي البحر المتوسط، **والبوسفور** علي البحر الأسود حاليا) وهما واقعين على طرفى بحيرة صغيرة (**بحيرة مرمرة** حاليا) بين البحرين. ولقد تمّت هذه العملية (أو هذا الخلق٠٠٠سبحان الله) فى زمن قصير لم يتجاوز العامين. مما دمر القرى المتواجدة على الأرض الساحلية

للبحيرة القديمة. وكذلك الحياة البشرية، والكثير من الكائنات الحية من نباتات وحيوانات، نتيجة حدوث التغييرات البيئية للمياه فى هذه المدة القصيرة. ولقد أدّى ركود المياه وعدم تواجد تيارات حمل، إلى تكوين طبقات من المياه العذبة على السطح والمالحة فى العمق(حوالى ٢٠٠مترا على الأقل) مما جعل المياه المالحة تتخلص من غاز الأوكسيجين الذائب بها، وصعوده إلى طبقات المياه الأقل ملوحة ثم العذبة .

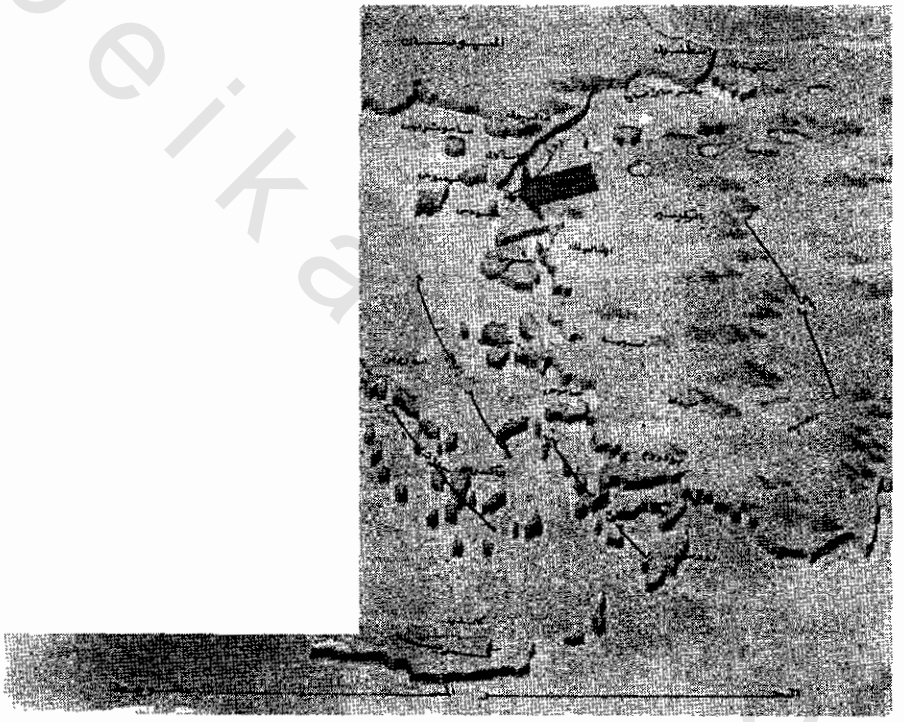

البحر الأسود

وبعد عام واحد من الإعلان عن هذه النظرية، أعلن فريق آخر من علماء الحفريات **بجامعة بنسلفانيا** بالولايات المتحدة أيضا،عن إكتشاف بقايا مبانى ومنشآت بشرية، على عمق ١٠٠مترا من سطح البحر الأسود. وهو يعتبر دليلا جديدا على حدوث فيضان مُدَ مُر في بداية العصر الحجرى الأوسط (٨٠٠٠ -

٤٠٠٠ سنة ق.م.). كما إكتشف هذا الفريق من العلماء، ولأول مرة، أن الأشياء المصنوعة من الخشب وفروع الأشجار وبقايا السفن الغارقة فى قاع البحر منذ زمن الكارثة، سليمة إلى درجة كبيرة. ولم تتعرض للتآكل والتحلل الفطرى بفعل البكتيريا التى تعيش فى المياه العذ بة. مما يشيرإلى ظاهرة إرتباط درجة عدم تواجد غاز الأوكسيجين، وخاصة فى الأعماق الكبيرة للبحار، بدرجة الحفاظ على بقايا السفن الغارقة فى قاع البحر من التحلل الحيوى طوال زمن غرقها. لذلك لوحظ أن حالة الأخشاب والمواد العضوية عامة، تتجه للتحسن كلما كانت على أعماق أكبر، مما يؤكد صحة النظرية سالفة الذكر، والتى فسّرت التركيب الحيوى الغريب لمياه البحرالأسود. كما إكتشف عدد من الجرارالتى تستخدم فى حفظ ونقل المواد السائلة، مثل الماء وزيت الزيتون والنبيذ .

وهذا يذكرنا بقصة مدينة "**طروادة**" التي وُصفت في "**الإلياذة**" في الأدب اليونانى القديم. هذه المدينة الأثرية المشهورة علي شواطئ **بحر**"**إيجه**" والتي تقع في نفس المنطقة (شواطئ الدردنيل الآسيوية). وكانت هذه المدينة مقامة علي تل يسمي "حيسارليك" الذي يرتفع حوالى ٣٣ مترا. ولقد إكتشف أنه يتكون من تسع طبقات متدرجة من الحجارة. وكانت كل طبقة تمثل مدينة (عام ٣٢٠٠ ق.م. – ٥٠٠ م.). ولقد بدا أن كل من هذه المدن قد بني محاذيا تقريبا لبقايا المدينة السابقة. ولقد اتفق علماء الآثار علي أن مدينة طروادة كانت السابعة. ولقد أمكن الوصول إلى هذه النتائج بدراسة الأساليب الفنية المتنوعة التي استُخدمت في البناء، ومقارنة أدوات البناء وخاصة الفخارية التي وجدت في كل طبقة .

ويعتقد البعض أن هناك علاقة تشابه بين ما حدث بهذه المنطقة من التغييرات الجيولوجية والبيئية، نتيجة الكارثة الطبيعية التى وقعت منذ حوالي ٥٥٠٠ سنة قبل الميلاد، وبين الطوفان الذى قضى على قوم نبى الله نوح الكافرين، والذى حدث بنفس المنطقة كما جاء بالقرآن الكريم الذى أُنزل منذ ١٤٠٠سنة مضت، وإن كان من الصعب تحد يد السنة التى حدث فيها طوفان نوح، خاصة وأن الكتب السماوية لا تحدد السنوات....

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

(هود٤٨-٤٩)

ونحن مع هذا الإعتقاد، بل ونزيد عليه بأن هناك بالإضافة إلى التشابه، تواكب وتكامل بين الحدثين، أى **الطوفان والفيضان**، خاصة وأن الكارثة الطبيعية ما هى فى الحقيقة إلاّ عقاب إلهى موجه إلى الضالين من العباد أحيانا.... . وسبحان علام الغيوب .

﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ﴿٣٧﴾ ﴾

(الزمر٣٦-٣٧)

﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾

(التوبة٧٨)

صيحة قوم لوط والبحر الميت

نبى الله **لوط**، هو لوط بن هاران بن تارح من سلالة سام بن نوح(عن التوراة). و"لوط" إسم عبرى وهو نفسه فى القرآن، وتعريبه "المستور"، أى المستور من الفضيحة :

﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الحجر٦٨)

وكان للوط أخت إسمها "سارای" وبدّله الله لها إلى "**سارة**" ووهبها قسط كبير من الجمال والتقوى . وكان أبوهما "**هاران**" قد مات فى سن مبكرة فكفلهما عمهما نبى الله "**إبراهيم**"، وتزوج من سارة . آمن لوط وسارة بعمهما وبربه، واهتديا بهديه. لم تطب لهذه العائلة الإقامة ببلدة " **أور**" بجنوب أرض ما بين النهرين (العراق حاليا) بين أهلهم وقومهم من **الكلدان والسومريين**، فهاجروا ومن معهم فى سبيل الإيمان بالله (العنكبوت: ٢٦. الصافات: ٩٩) وكان ذلك فى حوال عام ١٩٠٠ ق.م. :

﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾

(العنكبوت٢٦)

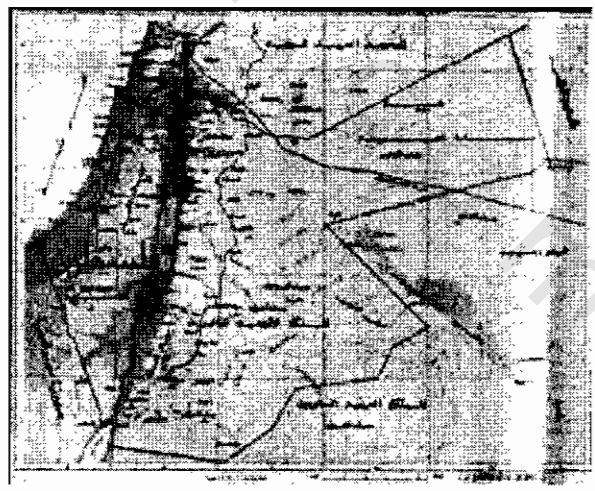

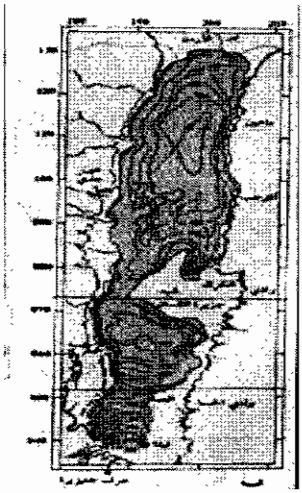

ساروا شمالا إلى بابل وآشور، ثم غربا إلى "**حران**" بلد أجـدادهم حيـث أقاموا حوالى خمس سنوات. وهناك مات الجد **تارح** (**آزر** بالعربية) ودفن علـى كفره. ومن حران ساروا إلى حلب بالشام. ثم إتجهوا جنوبا إلى حماه ثم **شـكيم** (نابلس حاليا) **بأرض كنعان** (فلسطين حاليا) وهى الأرض التى وعد الله إبراهيم ولوط بالتوجه إليها. فسكنوا فيها ولكن لم يطل بهم المقام، لجدب الأرض، بسبب القحط والمجاعة. فانطلقوا جنوباً إلى "بيت أيل، أى بيت الله أو **بيت المقدس**" ، ثم إلى **حبرون**(الخليل حالياً) وهى تقع بين منتصف ساحلى بحيرة صغيرة ماؤها مالح (حاليا البحرالميّت) والبحر المصرى (حالياً المتوسط) حيث أقاموا سنوات بعدها .

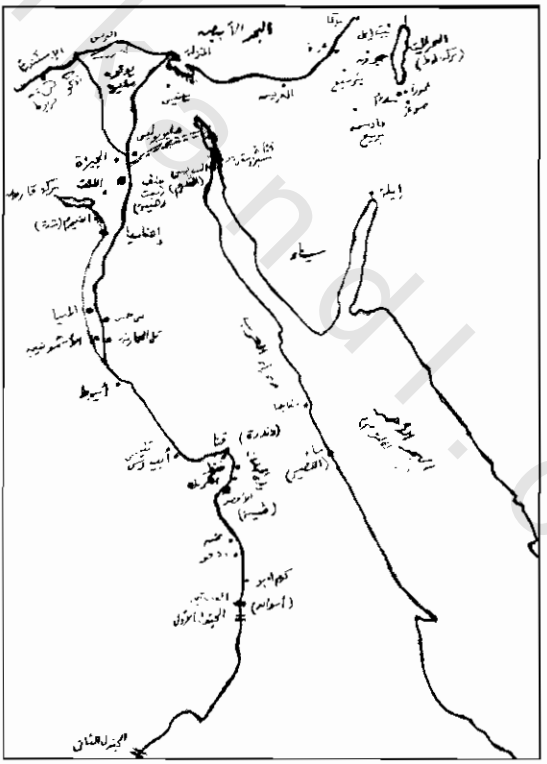

فى هذا التوقيت(حوالى عام ١٨٧١ ق.م.) كانت مصر فى حالة من الأمن والإستقرار والحضارة الراقية، مما جعل الحياة الإجتماعية بها مزدهرة (**عصر**

الإمبراطورية المصرية الأولى، والأسرتان ١٢,١١ عام٢١٤٣-١٧٨٧ ق.م.). وشجعت هذه الظروف إبراهيم ولوط لزيارة مصر والتعرف على ربوعها وأهلها وديانتهم ، مع محاولة نشر دعوة التوحيد بها. وفد إبراهيم ولوط ومن معهم على ملك مصر(وقد علم بمكانتهما فى قومهما) على أنهم وفد رسولى بعثه الرب. فاستقبلهم بترحاب وأحسن ضيافتهم لمدة خمس سنوات. وأغدق عليهم بالمال والجوارى والعبيد والماشية. من المؤكد أن ملك مصر جلس إلى إبراهيم ولوط وسمع منهما وتحاور معهما و تأثر بهما ، ولذلك سمح للوفد بالتجول فى ربوع البلاد شمالاً وجنوباً حتى وصل إلى **بلدة بنى حسن** (**إسطبل عنتر** حالياً بالقرب من المنيا) بالصعيد. وكان إبراهيم ولوط فى تحركهما بين المدن يقومان بالدعوة، أى عبادة الله وحده، ونشرعقيدة التوحيد والحث على التحلى بمكارم الأخلاق والعمل الصالح مما ينفع فى الدار الآخرة. وكان الهدف من ذلك محاولة إعادة إنبات بذرة ملة التوحيد التى سبق وأن غرسها كل من نبيا الله **شيث وإدريس** فى أرض مصر، والتى جفت بمرور الزمن. لكن دعوة التوحيد تجمدت إلى حين لوقوف الكهنة لها بالمرصاد. فبقيت حبيسة فى صدر كل من آمن بها (حوالى ٣٠٠ سنة) إلى **عصر يوسف** عليه السلام .

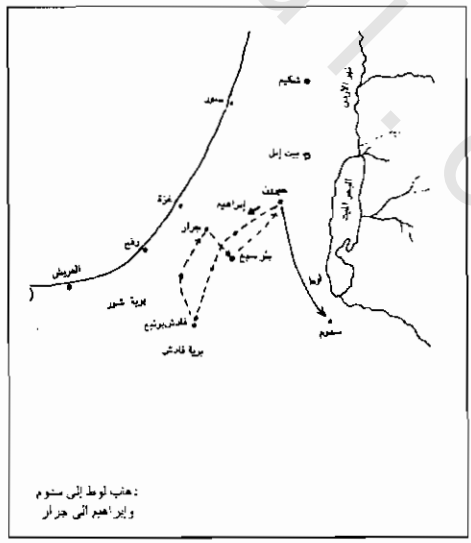

وبعد إنتهاء الزيارة لمصر، عاد الوفد إلى حبرون بأرض كنعان. وفى حبرون، إفترق لوط عن إبراهيم بتكليف من الله سبحانه، للذهاب كرسول منه إلى قوم "**سدوم وعمورة**"، وهما قريتين عند الطرف الجنوبى للبحيرة الصغيرة المالحة ، وملبيا لدعوتهم :

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

(الصافات ١٣٣)

وهناك تزوج منهم (علما بأنه لا ينتسب إليهم) وأتاه الله الحكمة والعلم، وكان ممن فضلهم على العالمين :

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

(الأنبياء ٧٤)

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

(الأنعام ٨٦)

كان قوم سدوم وعمورة ذوى أخلاق فاسقة ولا يستحيون من منكر يأتونه فى مجتمعهم بجهل وعلانية. فقد تفشى فيهم الشذوذ الجنسى ، فيأتون الرجال والغلمان شهوة دون النساء . وهذه المعصية المخجلة لم يسبقهم إليها أحد من البشر .

ولمّا كذبوا لوط وأنكروه، وفقد الأمل فى هدايتهم، لجأ إلى الله لينجيه منهم لمّا هددوه بالرجم والطرد من بينهم. فأرسل الله لهم بعض الملائكة لإنزال العذاب بهم :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

(الأعراف ٨٠-٨٤)

وطلبت الملائكة من لوط الخروج وأهله، الذين كُتبت لهم النجاة من القرية (أى بدون إمرأته التى من قوم سدوم وعمورة وظلت على كفرها). وأمروهم بالسير ليلاً، وألاَّ يلتفت أحد منهم خلفه عند سماعهم أصواتاً مروّعة تزلزل الجبال وتميد بالأرض وأمطارا من الحجارة المخربه ، لكي لا يرى هول العذاب فيصاب بشرٍ منه :

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الحجر ٦٥-٦٦)

إن إمرأة لوط الكافرة، الخائنة بالتآمر عليه بإرشاد قومها إلى ضيوفه وإفشاء أسراره وتحركاته، سوف يحل بها من السخط والعذاب ما سيحل بأهل القرية :

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (العنكبوت ٣٢)

وأخذت الصيحة قومه صباحاً وما يتبعها من زلزال وصواعق، فخسفت الأرض بالقريتين، وقلبت ديارهم جاعلة عاليها سافلها، فتهدمت على رؤسهم. ومَن كان منهم فى العراء أمطرهم الله بحجارة من طمى محمى حتى تحجر، وبذلك هلكوا جميعا :

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾

(هود ٨٢-٨٣)

لهذا سميت القريتين سدوم وعمورة " **المؤتفكات** " جمع مؤتفكة أى المنقلبة رأسا على عقب، كما جاء بالقرآن الكريم :

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

(التوبة ٧٠)

وكذلك أطلق على البحيرة الصغيرة إسم " بحيرة لوط أو بحيرة الأسفلت" لأن كتلا من القار ظهرت على سطح مائها المالح بعد وقوع الزلزال .

مضى لوط وأهله كما أُمر، والتجأ إلى قرية قريبة تسمى "**صوغر**" (أى الصغيرة). وبها أقام ورُزق بولدين من زوجته الأخري المؤمنة، إبنه البكر "مؤاب" ومن بعده "بن عمى"، وكان من نسلهما "المؤابيون والعمونيون". بعد ذلك ذهب لوط للإقامة مع عمه إبراهيم فى حبرون .

وقد قيل حديثا أن بعض آثار من مد ن قوم لوط قد إكتشفت أخيـرا علـى الشاطئ الجنوبى الشرقى للبحر الميّت (أو بحيرة لوط). وهى واقعة على طريق مطروق يسلكه المسافرون إلى الشام لتكون دليلا واضحا وآية وعبرة للعابرين :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

(الحجر ٧٣-٧٧)

﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

(العنكبوت ٣٤-٣٥)

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

(الصافات ١٣٧-١٣٨)

ذُكرت قصة لوط فى التوراة، كما وردت فى القرآن الكريم، وخالفته فـى نقطة وهى أن إمرأة لوط الكافرة خرجت معه وأهله، وأنها وهى سائرة مبتعـدة عن القرية خالفت التعليمات والتفتت للخلف، فتحولت إلى عمود من الملـح...! وحديثا، ثبت علميا أن منطقة حوض البحرالميّت (بحيرة لـوط سـابقا) ووادى عربة بين فلسطين والأردن هى أدنى أو أخفض أرض علـى سـطح اليابسـة (حوالى ٤٠٠متر تحت سطح البحر، وأصبحت تغطى حوالى ألف كيلـو متـر مربعا). وسميت بحيرة لوط **بالبحر الميّت**، لأن درجة ملوحة مياهه عالية جدا لدرجة لا تسمح بتواجد أى نوع من الحياة فيه (أى كائنات نباتيـة أو حيوانيـة

حية). والسبب فى ذلك كونه بحيرة مغلقة، بالإضافة إلى أن طبيعة تربة المنطقة بها نسبة عالية من الجبال المتكونة من الملح الصخرى. ويجرى حاليا إستغلالها إستغلالا إقتصاديا . وهنا كثيرا ما يراودنى تساؤلا وهو: هل هناك علاقة بين طبيعة تربة هذه المنطقة أو ترابها، وبين ما آلت إليه إمرأة لوط الكافرة لما إلتفتت للخلف كما ورد بالتوراة .....؟

حديثا يُطلق إسم "**الشرق الأدنى**" على منطقة البحر الميّت وماحولها. وفُسّرت بالشرق الأقرب إلى مكة أو العرب، وهى الطرف الجنوبى للشام. وبعد الإكتشافات الحديثة بعلوم الأرض (الجيولوجيا) بالنسبة لعمق منطقة حوض البحر الميّت، يمكن إضافة معنى آخر (من دنا يدنو فهو دان، أي منخفض) لهذا الإسم، وهو الشرق المنخفض أو الوطئ أو الهابط، ومؤنثها "الدنيا" التى هبط إليها آدم عليه السلام، بدليل ما ورد بعشرة من سور القرآن الكريم منها :

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾

(الروم١-٣)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ﴾

(الأحزاب٥٩)

﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ ﴾

(النجم٧-٨)

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾

(الملك ٥)

كما أن لفظ " كنع " فى العربية يعنى مال ونزل. وأصل هذا اللفظ جاء من إسم " كنعان بن حام بن نوح "، ومعناه فى اللغات الكنعانية والآرامية والعبرية " الوطئ " ونسله الكنعانيون وأرضهم " أرض كنعان" ترجمة لأسم فلسطين بلغة الكنعانيين . وهذا من إعجاز وعلم القرآن الكريم ..... ! الذى أُنزل منذ ١٤ قرنا مضت .

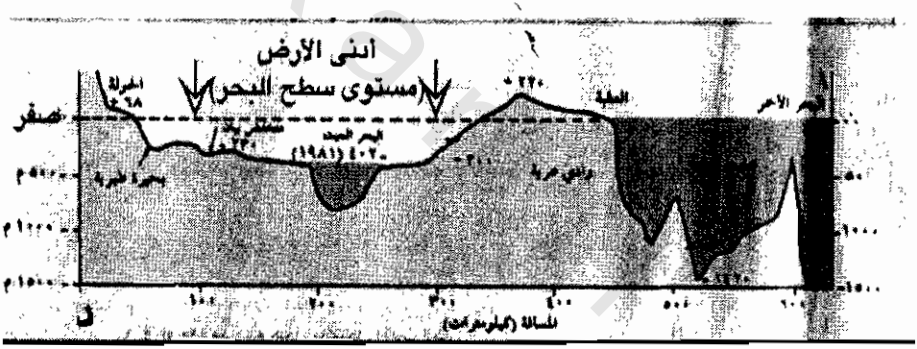

خسف الأرض بقارون وبحيرته

بالرغم من وضوح الآيات الدالة على صدق رسالة موسى إلى قومه من العبرانيين (سلالة يعقوب ويوسف والأسباط الذين إستضافتهم مصر سنوات عديدة تبلغ ٥٠٠ سنة تقريباً) وكذلك إلى فرعون المستكبر وأتباعه من المصريين، إلا أن مَن آمن به كانوا فئة قليلة من الشبان الضعفاء، لخوفهم من ردهم إلى الوثنية :

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

(يونس٨٣)

أما شيوخ بنى يعقوب وعلى رأسهم **قارون**، فكانوا خونة لشريعتهم (أى لشريعة التوحيد) ونافقوا فرعون وبلاطه. وقالوا لموسى: لقد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد أن جئتنا. أما موسى فقد شجع المؤمنين وقوى إيمانهم بألآ يخشوا سوى الله وحده، وأن يسلموا أمورهم إليه. وأوصاهم بالصبر والدعاء بأن ينجيهم من القوم الظالمين، ويهلك عدوهم. لكن بنو يعقوب كانوا قد شعروا بعد معاهدة السلام، التى وقعها الفرعون مع **ملك خيتا** (تركيا حاليا) بتضييق الخناق عليهم بالنسبة لخروجهم من مصر إلى أرض كنعان (فلسطين حاليا) ليستوطنوها وتصبح دولة لهم، وبذلك يخرجوا من دائرة النفوذ المصرى. ولكن للأسف سُدّ باب هذا الأمل فى وجوههم حين تزوج الفرعون من إبنة ملك خيتا. لذلك أخذوا يصبّون جَم غضبهم على موسى بإيذائه والتعرض له بالعناد والمكابرة التى تشوبها الوثنية تشبّهاً بالمصريين :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

(الصف٥)

ومن قول **المصطفى** (صلى الله عليه وسلم) فى هذا المقام :

قال الإمام أحمد- حدثنا أحمد بن حجاج، سمعت إسرائيل بن يونس، عن فلان٠٠٠، عن عبد الله بن مسعود قال: أتيت رسول الله فقلت : يارسول الله ! إنك قلت لنا لا يُبلغنى أحد عن احد من أصحابى شيئا وإنى مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا٠٠٠فأحمر وجه رسول الله وشق عليه، ثم قال:

[دعنا منك فقد أوذى موسى أكثر من ذلك فصبر]

رواه أحمد فى مسنده (١/٣٨٠ ، ٣٩٦ ، ٤٣٦ ، ٤٤١) .

ولقد بدا عنادهم وتسويفهم هذا بشكل صارخ فيما أُنزل على موسى بشأن ثلاث معجزات لبنى يعقوب لتُثبت لهم، بطريقة ملموسة، أن الله واحد، وأنه على كل شئ قدير، وأن موسى نبى الله لهم ، وهى :

١) معجزة البقرة :

كان فى بنى إسرائيل شيخ غنى له إبن وحيد قتله إبن عمه طمعا فى ميراثه، ثم جاء يطالب بدمه قوما آخرين. فأنكر الآخرون قتله، واحتكم الطرفان إلى موسى .

فقال موسى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ليكون ذلك الطريق الذى يؤدى إلى معرفة القاتل. ولكنهم إستغربوا أن تكون هناك صلة بين قتل القتيل وذبح البقرة قائلين: أتسخر منا ياموسى٠٠٠! فرد عليهم قائلا: أعوذ بالله أن أكون من

الجاهلين الذين يسخرون من غيرهم. ولما كان بنو إسرائيل جُبلوا على عدم طاعة أوامر الله، وعدم المسارعة فى تنفيذها...لذلك قالوا لموسى: أطلب إلى ربك أن يبين لنا صفة تلك البقرة. فقال لهم أن الله أخبرنى بأنها وسط فى السن، صفراء شديدة الصفرة النقية لا يشوب لونها أى شائبة، تعجب الناظرين، فنفذوا ما أمركم الله به. ولكنهم عادوا يطلبون المزيد من المعلومات بشأن هذه البقرة. فقال لهم: إن الله يقول أنها بقرة لم تهان بالعمل فى الزراعة ولا فى سقى الأرض. وأخيرا قالوا: الآن وضح الوصف، وأتوا بالبقرة المتصفة بهذه الأوصاف، فذبحوها على مضض وبعد تردد وجهد جهيد (والسبب فى ذلك أن ببعضهم شيء من الوثنية المصرية، وخاصة بالنسبة للبقرة التى يقدسها المصريون، لأنهم يعتبرونها رمزا للبر والرحمة). وكان المقصود من طلب الله منهم بذبح بقرة، هو أكل لحمها، وفى ذلك تقويم وتربية نفسية لهم. ولقد أوحى الله لموسى بأن يقول لبنى إسرائيل: إضربوا القتيل بجزء من هذه البقرة. فلما فعلوا ذلك، أحيا الله القتيل وذكر إسم القاتل بقدرة الله، ثم سقط ميتا مرة أخرى. وأُخذ القاتل وقُتل. وكانت معجزة من الله لموسى على قومه الذين، مع ذلك، لم يستجيبوا ولم تخشع قلوبهم .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ

فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

(البقرة: ٦٧-٧٣)

وللعلم، إن ما حدث فى هذه القصة يشبه فى عمومه ما يحدث حاليا بمصر ويسمى" **يمين القسامة**". من هذه المعجزة، يتضح أن أحداثها غالبا ما تتم إلاّ بأرض زراعية موسمية ثابتة، تكثر فيها الأبقار لإستخدامها فى الحرث والدراس والسقى، بالإضافة إلى تقديس بعضها كما كان يحدث فى مصر قديما، وليس فى برية، مثل صحراء سيناء. ومع قوم حكم الله عليهم **بالتيه** والتجّول وعدم الإستقرار حتى الهلاك (وهو ما نرجح حدوثه **قبل**، وليس بعد، خروج موسى وبنى يعقوب من وادى نهر النيل إلى صحراء سيناء كما ذكر بعض المفسرين... !) .

٢) معجزة جرى الحجر :

لقد بلغ السفه وسوء الأدب ببنى إسرائيل أن أشاعوا عن موسى أن به عيبا بجسده، لأنه كان دائما يغتسل وحده، مخالفا لعادة قومه بالأغتسال عراة وفى جماعة، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض. وينفى هذا الإدعاء حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم– الذى يقول :

[إن موسى كان رجلا حييا ستيرا، لا يُرى من جسده شىء فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل وقالوا إن موسى ما يستتر هذا الستر إلاّ من عيب بجسمه كالأدرة

(وهى ورم فى الخصية، وتنشأ عن طريق نقل الدودة الخيطية "**الفيلارية**" التى يحملها البعوض، وينقلها إلى جسم الإنسان عن طريق اللدغ). **أو بجلده إما برَص وإما آفة. وأن الله تعالى أراد أن يبرئه مما قالوا. وأن موسى خلا يوما**

وحده فوضع ثيابه على حجر ثم إغتسل. فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، فحدثت المعجزة، وهى جرى الحجر بثوبه رغم أنفه. فأخذ موسى عصاه وصار يجرى خلف الحجر خارج الماء وهو يقول: ثوبى حجر ثوبى حجر ... إلى أن توقف الحجر فى جمع من بنى إسرائيل، وموسى عارى البدن مكشوف العورة، فظهر لهم أنه بريء من العيب الذى إتهموه به. ورأوه كأحسن ما خلق الله تعالى.] . صدق رسول الله .

وكذلك نفى القرآن الكريم هذا الإدعاء، وبيَّن أن موسى كان عند الله وجيها، أى سيد قومه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾

(الأحزاب ٦٩)

(الصف : ٥) سبق ذكر نصها .

٣) معجزة خسف الأرض بقارون :

لقد قام بهذا الإيذاء الأخير شخص عبرانى، قيل أن إسمه " **قارون**"(أو يصهار). وهو شقيق "عمرام بن قاهت بن لاوى بن يعقوب" (أى أن **قارون** هو عم **لموسى**). وللعلم، هذا النسب بدون إثبات. وشخصية قارون تمثل طغيان المال وعبودية السلطة الحاكمة (أى فرعون). فكان قارون عدوا لموسى، وسَوْط عذاب عليه، فى سبيل وصوله إلى مركزالقوى الثا لث، آنذاك، فى نظام الحكم بعد **فرعون**، ورئيس كهنته **هامان** :

﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(العنكبوت٣٩-٤٠)

ونسى أو تناسى قارون ملة جده الأكبر يعقوب، ولذلك توجه موسى برسالته إليه (إسوة بفرعون وهامان) لرده إلى دين التوحيد. لكن قارون إنضم إلى فرعون وهامان فى تكذيب موسى، وإتهموه بالسحر والكذب :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

(غافر٢٣-٢٤)

إنفرد القرآن الكريم بذكر إسم **قارون** أربع مرات (القصص : ٧٦ ، ٧٩. العنكبوت: ٣٩. غافر: ٢٤) حيث تجاهلته التوراة. وهو إسم عبرانى معناه "**المُنوّرأو المُوّقر**". ويقال أن قارون كان فعلا إسما على مسمى، فهو جميل الطلعة وضاء المحيّى. وكان يخرج فى موكب كبير مهيب يأتى فى الترتيب بعد موكب الفرعون، فاغتر به الذين يحبون متاع الحياة الدنيا، وتمنوا أن يكون لهم مثل ما أُعطِىَ قارون من المال والجاه فى الحياة. وكان قارون رجل غنى جدا، يمتلك قصرا كبيرا وأراضى خصبة على جانب بركة منخفض إقليم الفيوم. مع العلم بأنه جمع ثروته مقابل خيانته ومعاداته لقومه لصالح سيده الفرعون، لدرجة أنه كان يحتكم على خزائن وكنوز ينوء بحمل مفاتيحها الرجال الأشداء :

﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

(القصص ٧٦)

ومن طريف ما يُذكر فى هذا المقام، أن المصريين (حتى يومنا هذا) يتخذون من خزائن قارون موسى وما بها من المال الكثير، مثلا للتعبير عن الحب الشره للمال أو للشئ الغالى الثمن جدا. فيقولون: فلان..... ولا مال قارون يكفيه (أى يملأ عينه) .... وكذلك للشئ المرتفع الثمن جدا (أى مال قارون لا يكفى لشرائه) .

وكان أهل العلم والموحدون من قومه ينصحونه بعدم الغرور بثروته، وأن يجعل نصيبا منها ينفقه فى سبيل الله، وأن يحسن إلى الفقراء ويبتعد عن الفساد. ولكنه لم يستجب، وادّعى أن ماله قد أتاه عن طريق ماعنده من علم الكيمياء، وخاصة فى تحويل المعادن الرخيصة إلى معدن نفيس (يقصد الذهب أوالفضة)

متجاهلا أن كنوزه وأتباعه لن يَغنياه عند الحساب. وأن الله قد أهلك من قبل من هم أشد منه قوة وأكثر مالا وأعزّ نفرا :

﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

(القصص ٧٦-٨٠)

ولمّا ضَيَّق موسى على قارون الخناق لدفع زكاة ماله، شحّتْ نفسه بالمال وأدار ظهره، بل وقرر أن يكيد لموسى بإتهامه بجريمة ملفقة. فاستأجر مومسا لتقذف موسى على الملأ أنه زنى بها، وعليه فهو يستحق الرجم. ولكن الله حفظ موسى، وجعل المرأة تتلعثم وتتردد ويرتجُّ عليها الكلام لما جاءت للشهادة، ثم تعترف بالحقيقة وتُبرّئه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾

(الأحزاب ٦٩)

من هذا يتضح، أن **موسى** قد أُرسل (كما سبق وأن ذكرنا) إلى **فرعون** و**هامان** المصريين، وأيضا إلى بنى يعقوب ومنهم **قارون**. وأن ما ترتب على مواجهة قارون من خسف الأرض به وبقصره وبكنوزه كانت **آية لهلاكه**. وصار الذين تمنوا فى السابق منزلته من الدنيا، يندمون بعدما شاهدوا ما أصابه، ويشكرون الله على إحسانه إليهم وهدايتهم إلى الإيمان :

﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

(القصص ٨١-٨٢)

هذا قد حدث، وقارون مقيم بأرض وادى النيل، وليس بصحراء سيناء، كما تقول بعض المصادر... !

يقال إن قصر قارون كان يقع على الطرف الجنوبى الغربى لبرك منخفض اللاهون الخصب (الفيوم حاليا ، و" فيوم " كلمة مصرية قديمة معناها " بركة " بالعربية). والذى كان يستخدم كخزان لحفظ مياه نهر النيل الزائدة فى موسم فيضانه عن طريق ترعة من نهر النيل (تسمى حاليا **بحر يوسف**). وذلك للإستفادة بالمياه وقت التحاريق فى الرى والزراعة منذ عصر الأسرة الثانية عشرة (١٨٩٠-١٧٩٠ ق.م.). ولقد خلّف هذا المنخفض وراءه، بعد معجزة

خسف الأرض، بركة أكبرهى التى يطلق عليها الآن **بركة قارون**، بمحافظة الفيوم. لم يحدد نص القرآن الكريم زمن هذا الخسف، ولكن سياق الأحداث حدده بالتقريب فى منتصف فترة مواجهة موسى لفرعون ولبنى يعقوب (أى فى حوالى عام ١٢٤٠ ق.م.).

كان قدماء المصريين يسمون هذه البحيرة " **حنو مرور**" (أى بحيرة مرور) وهو الإسم الذى حرفه اليونانيون، بعد ذلك، إلى **بحيرة "موريس"**. ولفظ " مرور" يدل على إسم بلدة مكان بلدة " كوم غراب" وهى تقع عند منحنى **بحر يوسف** حاليا. وقيل أن إسم قارون قد أُجيز على البركة، وأن إسمها الحقيقى هو "**بركة قرون**". ولقد جاء هذا الإسم الوصفى ليصف شواطئ البركة الكثيرة الإلتواءات كالقرون البارزة..... والله أعلم .

الخانق الجيولوجى الكبير الذى يمر بحذاء الساحل الجنوبى لبحيرة قارون.

ولقد أثبتت الأبحاث الجيولوجية، وجود كسور فى طبقات تربة أرض هذه المنطقة، مما يدل على وجود خسف حدث بها فى قديم الزمان. إذ يمُرّ فالق عظيم حذاء الشاطئ الجنوبى للبركة، ويلف حول طرفها الغربى (حيث كان يقع قصر قارون الكبير) متجها إلى الشمال .

هذا بالإضافة إلى أنه بجنوب البركة يقع **وادى الريان** المشهور بتراثه الطبيعى من حيث وجود الأراضى الرطبة، والتراكيب الجيولوجية، والعيون

المائية. وأيضا الحفريات النادرة **بوادى الحيتان**، حيث توجد هياكل الحيتان والدرافيل والسلاحف البحرية، والتلال الرملية والنتوءات الصخرية من الحجر الرملى، التى تمثل قاع بحر قديم . وكان هذا البحر يزخر بثروات طبيعية لتلك الحقبة التى ترجع إلى ملايين السنين، عندما كان البحر المتوسط يصل إليها قبل تكوين دلتا نهر النيل .

فى الحقيقة إن أرض مصر، وخاصة شمالها، قد مرَّت عليها عصور جيولوجية متعددة قبل أن تصبح آهلة بسكانها. وكان نهر النيل، منذ العصور السحيقة، قد إتخذ مجراه الحالى تقريبا، ومعه (قبل مصبه فى الشمال) منخفض " شدت " (الفيوم حاليا) نتيجة لإنفصالٍ فى طبقات الأرض، وكان يشبه الواحة. ونشأت بحيرة عظيمة غطت معظم المنخفض بمياه فيضان النهر السنوى، عن طريق فرع من النيل (بحر يوسف حاليا)، وكان سطح هذه البحيرة منخفِض عن سطح البحر المتوسط (أو الروم) بحوالى تسع وثلاثون مترا. وكان نهر النيل يصب شمالا فى البحر المتوسط عند موقع القاهرة الحالى تقريبا، وعلى يمينه جبل المقطم، وعلى يساره هضبة الجيزة. وكانت له عدة روافد فى الصحراء الشرقية. وكان الجنوب الشرقى للبحرالمتوسط متّصل بالشمال الغربى للبحرالأحمر(أو القلزم) بواسطة جزء ضيّق . وكان الشمال الشرقى للبحرالأحمر واصل شمالا إلى منخفض البحر الميّت فى فلسطين. وكانت أرض مصر بها ميل مزدوج : الأول، ميل طفيف من الجنوب إلى الشمال حسب إتجاه نهرالنيل .

أما الميل الثانى، فكان أشد إنحدارا، مبتدأً من جبال ساحل بحر القلزم (الأحمر) الغربي ومتجها إلى إقليم الواحات غربا. وأخذ النيل يلقى برواسبه وغرينه عند مصبه مكونا أراضى جديدة (حوالى ٢٢ ألف كيلومتر مربع). وتفرع بها إلى عدة فروع، وثمانية مصبّات، منها فرعين رئيسيين (**دمياط ورشيد**). وسميت هذه الأراضى "**الدلتا**" لأنها تشبه شكلا، مقلوب حرف دلتا

المثلث فى اللغة الإغريقية. وبمرور الزمن جفت روافد النيل فى الصحراء شرقا وغربا، ولم يبق منها غير آثار مجاريها فى الوديان هناك .

ولم يبق من الوصلة بين جنوب شرق البحرالمتوسط وشمال غرب البحرالأحمر إلاَّ **خليج السويس** (القلزم) وحوض بحيرات المنزلة والتمساح والمرة والمستنقعات. كما إنكمش الجزء الواصل من جنوب البحر الميت إلى شمال شرق البحرالأحمر إلى **خليج العقبة** بشكله الحالى تقريبا .

obeikandl.com

هزيمة الروم... والوفاء بالعهد

يقول الله في كتابه العزيز :

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾

(الروم ١-٥)

في عام ٦١٤ م . إستولي الفرس المشركون بقيادة **كسرى** (خسرو الثانى) علي بعض المدن في الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الرومانية (أي **الشام**) . ومن أهمها مدينة " **أورشاليم** " (بيت المقدس بفلسطين حاليا) . وكان ذلك في عصر قيصر الروم **هرقل** (هيراكليوس الصغير) .حيث ذبحوا سكانها وأحرقوها بعد أن نهبوها وهدموا كنسية القيامة وإستولوا علي الصليب . وقد وصف القرآن الكريم مكان الهزيمة بأدني الأرض. فأدنى الأرض ليس فقط أقرب الأرض إلى مكة أو العرب وهو أطراف الشام (كما جاء بالمنتخب فى تفسير القرآن الكريم) ولكنه يعنى أيضا أخفض الأرض (كما أسلفنا). فلقد أثبت العلم الحديث أن **حوض البحر الميت** (وهوالجزء الجنوبي من غوْر الأردن) هو **أخفض الأرض** علي ظهر اليابسة (حوالي ٤٠٠ مترا تحت سطح البحر) . وعلي ذلك يكون المقصود بأدني الأرض بالقرآن الكريم هو أرض فلسطين، كما أسلفنا (راجع صيحة قوم لوط والبحر الميت) .

هذا بالأضافة إلي أن جنوب فلسطين (أى الجزء المحصور بين البحرين المتوسط والميت) كان يعرف في الماضي بأرض كنعان (**كنعان** بن حام بن **نوح**) . ولفظ **كنعان** باللغة الآرامية وكذلك العبرية تعني **الوطىء** (كما تعني

أيضاً اللون الأحمر ، كما أسلفنا . وكنع في اللغة العربية تعني مـــال ونـــزل أو هبط ، مما يؤكد لغة القرآن الكريم المعجزة....!

ولقد فرح المشركون من أهل مكة(قـــريش) لهزيمـــة الـــروم، وشـــمتوا بالمسلمين من أهلها لأن الروم مسيحيّون، وأهل كتاب مثل المسلمين .

وفي عام ٦٢٢ م (أي في العام الهجري الأول، وقبل غزوة بـــدر بعـــام واحد التى إنتصر فيها المسلمون على مشركى قريش) كرّ الروم علي الفـــرس وإنتصروا عليهم إنتصارا ساحقا بعد حوالي ثمانية أعوام (أي في بضع سنين، كما جاء بالقرآن الكريم، وهي تعني من ٣ : ٩ سنوات) . وهكذا إنتصر أهـــل الكتاب علي المشركين ، وحقق الله وعده في المدة التى حددها في كتابه المعجز، وفرح المؤمنون بنصرالله الذي ينصر من يشاء وهو الغالب علي أعدائه والرحيم بعباده .

وصدق القرآن الكريم الذي :

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾

(فصلت ٤٢)